2 me Année, No. 61.

Lundi-3-9-1934

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
صـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الأدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم | ٤٢٣٩٠ | ٤٠٥٣٠

العـــدد ٦١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٤ جمادى الاولى سنة ١٣٥٣ — ٣ سبتمبر سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

فهرس العـــدد

الأخـــلاق والتشريع

إذا كان الصيف موسم التنزه والاستحمام وجوب الشواطىء ، فهو أيضاً موسم التحدث عن الأخلاق . ففى كل صيف يتجدد لدينا حديث الأخلاق وانحلالها ، وما تجنيه عليها مناظر الاستحمام والعرى المثيرة ؛ وقد بلغت هذه المناظر على شواطىء الأسكندرية فيما يظهر حداً مزعجاً من التبذل والتهتك ، وأثارت عاصفة شديدة من الاحتجاج والسخط ، وارتفعت الصيحة بوجوب وضع حد لهذه الأباحة الخطرة ؛ فاهتمت الحكومة وتدخلت إدارة الأمن العام ، ووضعت قيوداً جديدة على الاستحمام والنزه البحرية والركوب أو الجلوس بملابس البحر ، تحقق فى نظرها مستوى معيناً من الحشمة والحياء والصون

وثار أيضاً حديث الأفلام والمناظر السينمائية المنافية للحياء ، وانتهى إلينا صدى تلك الحملات القوية التى تنظم فى أمريكا ، وتنظمها الكنيسة بالأخص لمحاربة هذه الأفلام والمناظر المثيرة المفسدة لأخلاق النشء والشباب ؛ وقيل بحق إننا فى مصر أشد حاجة إلى مقاومة هذا الخطر الأخلاقى ؛ فاهتمت لذلك لجنة الرقابة الأدبية ، واقترحت على وزارة الداخلية أن تشدد الرقابة على الأفلام المصورة الواردة من الخارج ، فأقرت الاقتراح وستعمل لتنفيذه .

وهكذا كلما ارتفعت الشكوى من خطر على الدين أو الأخلاق ، اتجهت الأنظار إلى الحكومة ، وطلب إليها العمل لمقاومة هذا الخطر . والحكومة فى مصر هى حامية الدين والأخلاق . والحكومة فى جميع الأمم المتمدنة تضطلع بمثل هذه المهمة وتحمل مثل هذه التبعة ؛ ولكنها لاتنفرد بتأدية هذا الواجب ، وإنما تقوم به إلى جانب القوى المعنوية والاجتماعية الأخرى ، وتمد إليها يد العون متى احتاجت . أما فى مصر فالمفروض أن الحكومة تقوم فى هذا السبيل بكل شىء ، وتحمل كل تبعة ، وعليها وحدها يقع عبء التقويم والاصلاح

وليس هنا مقام التحدث عن أسباب هذه الظاهرة ، وإن كان وجودها طبيعياً فى بلد تقبض حكومته على جميع السلطات ، وتسيطر على جميع الحريات والقوى المادية والاجتماعية ؛ ولكنا نتساءل فقط : هل يكفى تدخل الحكومة لدرء الشر ، أو بعبارة أخرى هل يعتبر التشريع وسيلة ناجعة لتقويم الأخلاق ؟ لقد اعترض بعض النقدة حينما فرضت الحكومة تلك القيود الجديدة على ملابس البحر والنزه البحرية ، وقالوا إن الأخلاق لاتقوم بالتشريع ، وإن تيار الفساد أقوى من أن تحده مثل هذه القيود . وربما كان ذلك حقاً فى ذاته ؛ فالتشريع وحده لايكفى لقمع الفساد وتقويم الأخلاق ، بل يجب أن تتضافر معه جميع القوى والعناصر التهذيبية الأخرى ، فى البيت والأسرة والمدرسة والمجتمع ، ولكن التشريع لابد منه فى بلد تسيطر الحكومة فيه على كل شىء : على التعليم والتربية ، وتكوين التفكير والأخلاق ؛ وتنظيم المجتمع ، والتشريع أول وأهم خطوة فى بلد لم يستكمل نضجه فى التهذيب والثقافة ، وفى بلد تغزوه أسفل عناصر المدنية الغربية ؛ وفى مجتمع لايفهم التمدن إلا بأنه اقتباس للخلال والأزياء الغربية الخليعة ، والانحدار إلى مهاوى التهتك ، وإهدار قواعد الحياء والحشمة ، والانغماس فى شر ما تنغمس فيه العناصر الأجنبية الوضيعة .

وحيثما يسرى الفساد إلى مجتمع ضاع فيه وازع التربية والحياء والأخلاق ، وجب أن يمثل وازع التشريع والأكراه ، ونريد هنا التشريع الحكيم النزيه المبنى على دراسة عميقة وتمحيص مستنير . [illegible] إن التشريع [illegible]

الطريق دائماً للغاية المثلى ، وفى جميع الأمم الغربية يتخذ التشريع وسيلة لحماية الأخلاق وتقويمها ؛ ففى انكلترا قوانين لحماية الأحداث من خطر ارتياد المقاهى والملاهى منفردين ولحماية أخلاقهم فى المصنع ؛ وقد لجأت الفاشستية فى إيطاليا إلى التشريع لمعالجة الفساد الأخلاقى الذى بثته فوضى ما بعد الحرب إلى كل طبقات المجتمع ، فأصدرت قوانين عديدة لمحاربة الخلاعة والتهتك ومطاردة الملاهى المبتذلة ، وتناول التشريع أزياء المرأة فحتم أن تكون ذات طول معين ؛ وردت المرأة الايطالية بقوة التشريع إلى الأسرة والمنزل ، وحملت على تقديس الزواج والأمومة ، واحتقار الأمعان فى التبرج واللهو الخليع ؛ وحذت الوطنية الاشتراكية فى ألمانيا حذو الفاشستية فى ذلك ، فلجأت إلى التشريع فى مطاردة الفساد الاخلاقى والملاهى المبتذلة ، وأغلقت مئات الحانات والمنتديات المريبة فى برلين وغيرها ، وردت المرأة الألمانية إلى حظيرة الأسرة ، وبوعد بينها وبين العمل الخارجى جهد الأستطاعة ، إلى غير ذلك من الوسائل والاجراءات التى أريد بها صون الأخلاق بعد ما وصلت إلى أبعد حدود الانحلال ، ورفع مستوى الحياء والحشمة بعد أن هبط إلى الدرك الأسفل .

وفى تركيا الكمالية ، كان التشريع وسيلة التحرير والتمدن ، فلما طغى سيل الفساد الأخلاقى فى مجتمع لم ينضج بعد لمثل هذا الأغراق والتطرف ، عادت حكومة أنقرة فلجأت إلى التشريع أيضاً لكبح جماح ما أطلقت عنانه بادىء بدء ، وحماية النشء والشباب من الاندفاع فى حريات لم يألفوها ، وكانت وبالاً على أخلاقهم ونفوسهم .

والخلاصة أننا لانعترض على التشريع فى ذاته كوسيلة لحماية الأخلاق والآداب ؛ فلنا فى ذلك أسوة بكثير من الأمم الغربية ذات الأخلاق والمدنية ؛ ومادمنا نخضع لمثل هذه الظروف والنظم ، فلا مناص من الألتجاء فى الاصلاح إلى وسائل الاكراه ؛ ولكن الذى نعترض عليه حقاً هو أن هذه القوانين التى توضع لمعالجة هذه الشئون ليست دائماً على جانب كبير من الحكمة والاتزان ، ولا تقوم دائماً على نزاهة القصد والغاية ؛ وإنما توضع فى الغالب لتهدئة بعض الحملات المزعجة ، ومعالجة بعض الحالات المؤقتة ، [illegible]

تربيــــة لؤلؤية

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

كتبتُ إلىّ سيدة فاضلة بما هذه ترجمتهُ منقولاً إلى أسلوبي وطريقتي :

... أما بعد فهذا الذى كنا ظننّـا وظنّـتْ ، فاقرأ الفصل الذى انتزعته لك من مجلة ... وستعرف منه وتنكر ، وترى فيه النهار مبصراً والليل أعمى ... وتجد فتاة اليوم على ماوقع بها من الظِنّـة ، وكثر فيها من أقوال السوء — لا تَشْمس على الريبة ولا تريد أن تنتفى منها ، بل هى تعمل لتحقيقها ، وتبغى مع تحقيقها أن يَتَعالَمَ الناسُ ذلك منها ، وتريد مع هذين أن يطلقوا لها ماشاءت ، ويسوّغوها مقارفة الاثم ، ويُقِـرّوها على منكراتها .

أما إنه إذا كانت أمهاتنا الجاهلات هنّ أمسنا الذاهب بلا فائدة ، فان فتياتنا المتعلمات هن يومنا الضائع بلا فائدة ، غير أن الجاهلة لم تكن تَـكْسَـد ومعها الفضيلة ، فأصبحت المتعلمة لم تكد تنفُق ومعها الرذيلة ، ولَتَـاجرٌ أُمّىّ طاهر الاسم تتحرك سوقُه ويحيا ، خير من تاجر متعلم نجس الاسم قد ماتت سوقه وخمدت ، فما تتنفّس من درهم ولا دينار .

لقـد احتذينا على مثال المرأة الأوربية ، فلما أحكمْـتَـه المتعلمات منا كن بين الشرق والغرب كالسَّـبِخَـةِ النشّاشة من الأرض ، طَرَف لها بالفلاة وطرف بالبحر ؛ فهى رمل فى ماء فى ملح ، لا تَخْلُص لفساد ولا صحة ، فاعتبر هذه وهذه فستجدها بحكاية واحدة ، أصلا وطبق الأصل . ؟

***

وقرأتُ الفصل الذى أومأت اليه السيدة وكان فى كتابها فاذا هو لكاتبة تزعم (أنها ممن رفعن علم الجهاد لحرية المرأة) وإذا فى أوله :

« كتبت آنسة أديبة فى عدد سابق من ... الأغر تقول : « أجل ، لنفتشْ عن هذا الرجل كما يفتشون هم عن المرأة ، فان أخطأناهم أزواجا فلن نخطئهم أصـدقاء ... » وكتب بعد هذا أديب فاضل ، كما كتبت آنسة فاضلة ينحيان (كذا) هـذا النحى ويطرقان نفس السبيل (كذا) التى اختطتها الآنسة الجريئة فى غير حق ، الثائرة فى نزق . ثم قالت بعد ذلك : « قرأت مقال الآنسة الثائرة فى حيوية صارخـة ... فجزعت لأن قاسم أمين عندما رفع علم الجهاد من أجل حرية المرأة ، وولى الدين يكن عندما جاهر بعده فى سبيل السفور ، وهـدى شعراوى عندما رفعت صوتها عالياً تطالب بحرية المرأة — ماظنت وماظن واحـد من هذين الرجلين أن ثورة المرأة ستتطور الى حد أن تقف آنسـة مهذبة تكشف عن رأسها تبكى وتستبكى سواها معها من أجل الزواج ... »

***

وأنا فلست أدرى والله مِمّ تعجب هذه الـكاتبة وإنى لأعجب من عجبها وأراها كالتى تـكتب عبثاً وهزلا وهُو تَـنِى مُظهِـرَة الجدّ والقصد والغضب . أَئِن أُطْـلِـق للنساء أن يَثُرن كما تقول الـكاتبة ، وجاهد فلان وفلان فى هذه الثورة فأخذت مأخذها ، فانطلقت لشأنها ، فأوغلت فى حريتها ، فامتدّ بها أمدها شوطاً بعد شوط — ثم جاء خُلُقٌ من أخـلاق المرأة يسفر سفوره ويرفع الحجاب عن طبيعته ثائراً هو أيضاً فى غير مداراة ولا حذق ولا كياسـة يريد أن يقتحم طريقه ويسلك سبيله ، ثم وقف على رغمه فى الطريق منكسراً مما به من اللهفة والوثبة يتوجع ، يتنهد ، يتلذّع بهذه المعانى وهذه الـكلمات — أَئِن وقـع ذلك جاءت كاتبة من كاتبات السفور تقول للمرأة : جرى عليكِ وكنتِ حرة ، وتَزَعْزَعتِ وكنتِ ثابتة ، وأفحشتِ وكنتِ عفيفة ، وتَعَهّرتِ وكنتِ طاهرة . أفلا تقول لهـــا : سَفَرتْ أخلاقُكِ إذ كنتِ سافرة بارزة ، وضاع حياؤكِ إذ كنتِ مُخلاّة مهملة ، وغلَوتِ إذ كنت فى المبالغة من البدء . أفلا تقول لها : لقد تَلطّفْتِ فجئت بالمعنى المجازىّ لـكلمة (العُرْى) ولقد أبدعتِ فكنتِ امرأة ظريفة اجتماعيـة مَخيلَة للشعر والفن ، وحقّقت أن واجب الظريفة الجميـلة إعطاءُ الفن غذاءً مِنْ ومن ، ومن لحمها .....

نعم إن قاسم أمين — رحمه الله — لم يكن يظن . ولـكن أما كان ينبغى أن يظن أن بعض الصواب فى الخطأ لا يجعل الخطأ صـوابا ؟ بل هو أحرى أن يُلبّسه على الناس فيُشبّهه عليهم بالحق وما هو به ، ويجعلهم يسكنون اليه ويأمنون جانبه فينتهى بهم يوماً الى أن يَنْتسِفَ خطؤه صوابَه ، ويغطىَ باطلُه على حقه ، ثم تستطرق اليه عواملُ لم تكن فيه من قبل ، ولا كانت تجد اليه السبيل وهو خطأ محض ، فتمدّ له فى الغى مداً . ثم تنتهى هى أيضاً الى نهايتها ، وتؤول الى حقائقها ؛ فاذا كل ذلك قد

داخل بعضه بعضاً ، واذا الشر لا يقف عندما كان عليه ، واذا البلاء ليس فى نوع واحد بل أنواع .

ما يرتاب أحد فى نية قاسم أمين ، ولا نزعم أن له خفيّة سوء أو مُضْمَر شر فيما دعا اليه من تلك الدعوة ، ولكنى أنا أرتاب فى كفايته لما كان أخذ نفسه به ، وأراه قد تكلّف مالا يُحسن ، وذهب يقول فى تأويل القرآن وهو لا ينفذ الى حقائقه ولا يستبطن أسرار عربيّته ، وكان مناظروه فى عصره قوماً ضعفاء فاستعلاهم بضعفهم لا بقوته ، وكانت كلمة الحجاب قد انتفخت فى ذهنه بعد أن أفرغت معانيها الدقيقة ، فأخذها ممتلئة وجاء بها فارغة ، وقال للنساء غيّرْن وبدّلْن ؛ فلما أطعْنه وبدّلن وغيّرْن ، وجاء الزمن بما يفسّر الكلمة من حقائقه وتصاريفه لا من خيالات التخيّل أو التشيّع — إذاً معنى التغيير والتبديل هو ما رأيتَ ، واذا الحجاب الأول على ضلاله كان نصف الشر ، واذا المرأة التى ربحت الشارع هى التى خسرت الزوج ! واذا تلك الدعوة لم تكن نفياً للحجاب عن المرأة ، ولكن نفياً للمرأة ذاتها وراء حدود الأسرة كأنها مجرمة عوقبتْ على فساد سياستها ؛ وهى فى بيتها ، ولكنها مع ذلك منفية من مستقبلها .

كانوا يحتجون لنفى الحجاب بالفلاحات فى سفورهن ؛ وغفلوا أقبح الغفلة عن السبب الطبيعى فى ذلك ، وهو أن السفور إنما عمّهُنَّ من كونهن لسن فى المنزلة الاجتماعية أكثر من بهائم إنسانية مؤنثة . ومثل هذا السفور لا يكون على طبيعته تلك إلا فى اجتماع طبيعى فطرى أساسه الخلط فى الأعمال لا التمييز بينها ، والاشتراك فى شىء واحد ، هو كسب القوت لا الانفراد بما فوق ذلك من أشياء النفس .

ولست أرى هذه اللجاجة ، أو « الحيوية الصارخة » التى ثارت بفتياتنا — إلا تمرداً من طبيعتهن على الأحوال الظالمة المتصرفة بها ؛ ويحسبْنه توسعاً من الطبيعة فى الحرية ، وطلباً للعالم كله بعد الشارع ، وللحقوق كلها بعد نبذ الحجاب ؛ وهو فى الحقيقة ليس إلا ثورة الطبيعة النسوية على خيبتها مما أصابت من الحرية والشارع والعالم والحقوق ، ورغبة منها فى أن تُحدّ بحدودها ويُؤخذ منها العالم كله بما فيه ، وتُعْطَى البيت وحده بما فيه .

إذا أنت كشفت جذور الشجرة لتطلقها بزعمك من حجابها وتخرجها الى النور والحرية فانما أعطيتها النور ، ولكن معه الضعف ؛ والحرية ، ومعها الانتقاض ؛ وتكون قد أخرجتها من حجابها ومن طبيعتها معاً ؛ تخذها بعد ذلك خشباً لا ثمراً ، ونظ[...] شجرة لا شجرة ! لقد أعطيتها من علمك لا من حياتها ، وجهلت أنها من أطباق الثرى فى قانون حياتها ، لا فى قانون حجابها . أفليست كذلك جذور الشجرة الانسانية ؟

كل ما يتغير يسهل تغييره على من شاء ، ولكن النتائج الآتية من التغيير لا تكون إلا حتماً مقضياً كما يُقْضَى فلن يسهل تبديلها ، ولا تحويلها ولا رَدُّها أن تقع . وقد أخطأ جماعة السفور ، بل أنا أقول : إنهم جاءونا بالجاهلية الثانية ، وإنهم طبّبوا المرأة المسلمة كذلك الطبّ الذى أساسه الرائحة الذكية فى البخور...!

* * *

وما هو الحجاب إلا حفظ روحانية المرأة للمرأة ، وإغلاء سعرها فى الاجتماع ، وصونُها من التبذلّ الممقوت لضبطها فى حدود كحدود الربح من هذا القانون الصارم ؛ قانون العَرض والطلب والارتفاعُ بها أن تكون سلعة بائرة ينادَى عليها فى مدارج الطرق والأسواق : العيون الكحيلة ، الخدود الوردية ، الشفاه الياقوتية ، الثغور اللؤلؤية ، الأعطاف المرتجّة ، النهود الـ.. الـ.. أو ليس فتياتنا قد انتهين من الكساد بعد نبذ الحجاب الى هذه الغاية ، وأصبحن إن لم ينادين على أنفسهن بمثل هذا فانهن لا يظهرن فى الطرق إلا لتنادى أجسامُهن بمثل هذا ؟ وهذه التى كتبت اليوم تطلبهم مخادنين إن أخطأتهم أزواجا ، وتفتّش عليهم تفتيشاً بين الزوجات والأمهات والأخوات ! هل تريد إلا أن تثب درجة أخرى فى مخزيات هذا التطور ، فتمشى فى الطريق مشى الأنثى من البهائم طَمُوحاً مطروفة ، تذهب عيناها هنا وهنا تلتمس من يخطو اليها الخطوة المقابِلة . . .

ما هو الحجاب الشرعىّ إلا أن يكون تربيةً عملية على طريقة استحكام العادة لأسمى طباع المرأة وأخصّها الرحمة ؛ هذه الصفة النادرة التى يقوم الاجتماع الانسانى على نزعها والمنازعة فيها مادامت سنة الحياة نزاعَ البقاء ، فيكون البيت اجتماعاً خاصاً مسالماً للفرد تحفظ المرأة به منزلتها ، وتؤدى فيه عملها ، وتكون مغرساً للأنسانية وغارسة لصفاتها معاً .

لقد رأينا مواليد الحيوان تولّد كلها : إما ساعية كاسبة لوقتها ، وإما محتاجة الى الحضانة وقتاً قليلاً لا يلبث أن ينقضى فتكدح لعيشها ؛ إذ كانت غاية الحيوان هى الوجود فى ذاته لا فى نوعه ، وكان بذلك فى الأسفل لا فى الأعلى . غير أن طفل المرأة يكون فى

طها جنيناً تسعة أشهر ، ثم يولد ليكون معها جنيناً فى صفاتها وأخلاقها ورحمتها أضعافَ ذلك سنةً بكل شهر . فهل الحجاب لا نقصرُ هذه المرأة على عملها لتجويده وإتقانه وإخراجه كاملاً ما استطاعت ؛ وهل قصرها فى حجابها إلا تربية طبيعية لرحمتها وصبرها ، ثم تربية بعد ذلك لمن حولها برحمتها وصبرها ؟

أعرف معلمة ذات ولد ، تترك ابنها فى أيدى الخدم بعد وصاة علمية سيكولوجية .. وتمضى ذاهبة عن يمين الصباح ويمضى زوجها عن شماله .. وقد رأيت هذا الطفل مرة فرأيته شيئاً جديداً غير الأطفال ، له سمة روحانية غير سماتهم ، كأنما يقول لى إنه ليس لى أب وأم ، ولكن أب رقم (١) ، وأب رقم (٢) . .

***

وقد كنت كتبت كلمة عن الحجاب الاسلامى قلت فيها : « ما كان الحجاب مضروباً على المرأة نفسها ، بل على حدود من الأخلاق أن تجاوز مقدارها أو يخالطها السوء أو يتدسَّس إليها ؛ فكل ما أدى إلى هذه الغاية فهو حجاب ، وليس يؤدّى شىء إلا أن تكون المرأة امرأة فى دائرة بيتها ، ثم إنساناً فقط فيما وراء هذه الدائرة إلى آخر حدود المعانى . »

وهذا هو الرأى الذى لم يتنبه إليه أحد ، فليس الحجاب إلا كالرمز لما وراءه من أخلاقه ومعانيه وروحه الدينية المتعبِّدة وهو كالصدفة لا تحجب اللؤلؤة ولكن تربيها فى الحجاب تربية لؤلؤية ؛ فوراء الحجاب الشرعى الصحيح معانى التوازن والاستقرار والهدوء والاضطراد وأخلاق هذه المعانى وروحها الدينى القوى الذى ينشىء عجيبة الأخلاق الانسانية كلها ؛ أىْ صبر المرأة وإيثارها . وعلى هذين تقوم قوة المدافعة ، وهذه القوة هى تمام الأخلاق الأدبية كلها ، وهى سر المرأة الكاملة ؛ فلن تجد الأخلاق على أتمها وأحسنها وأقواها إلا فى المرأة ذات الدين والصبر والمدافعة . إنها فيها تشبه أخلاق نبى من الأنبياء .

وقد مُحق الدين والصبر ، وتراخت قوة المدافَعة فى أكثر الفتيات المتعلمات ، فابتلين من ذلك بالضجر والملل ، وتشويه النفس ؛ ووقع فيهن معنى كمعنى العفَن فى الثمرة الناضجة ؛ وجهلن بالعلم حتى طبيعتَهن فما منهن من عرفتْ أن طبيعتها سلبية فى ذاتها ، وأنه لا يشدّها ويقيمها إلا الصفات السلبية ، وملاكها الصبر فروعُه وأصوله ، وجمالها الحياء والعفة ، ورمزها وحارسها والمعينُ عليها هو الحجاب وحده . إنه إن لم يكن فى المرأة هذا فليست المرأة إلا بهذا .

وما تخطىء المرأة فى شىء خطأها فى محاولة تبديل طبيعتها وجعلها إيجابية ، وانتحالها صفات الأيجاب ، وتمردها على صفات السلب كما يقع لعهدنا ، فان هذا لن يتم للمرأة ، ولن يكون منه إلا أن تعتبر هذه المرأةُ نقائضَ أخلاقها من أخلاقها كما نرى فى أوربا ، وفى الشرق من أثر أوربا . فمن هذا تُلقِى الفتاة حياءها وتبذؤ وتُفحِش ، إن لم يكن بالألفاظ والمعانى جميعاً فبالمعانى وحدها ، وإن لم يكن بهذه ولا بتلك فبالفكر فى هذه وتلك ؛ وكانت الأستجابة لهذا مافشا من الروايات الساقطة والمجلات العارية ؛ فان هذه وهذه ليست شيئاً إلا أن تكون عِلْمَ الفكر الساقط .

وعادت الفتاة من ذلك لاتبتغى إلا أن تكون امرأة رواية ؛ إما فوق الحياة ، وإما فى حقائق جميلة تختارها اختياراً وتفرضها فرضاً على القدر ! وتنسى الحمقاء أنها أحد الطرفين ، وليست الطرفين جميعاً ، فتحاول أن تقرر للحياة الجديدة تأويلاً جديداً لمعانى الشرف والكرامة والعرض والنسب وما إليها ؛ فانسلخت من كل شىء ، ثم لما أعجزها أن تنسلخ من غريزة الأنوثة طاشت طيشها الأخير فانسلخت من إنسانية الغريزة

***

أما إن غلطة الرجل فى المرأة لاتكون إلا من غلطة المرأة فى نفسها ، وهى قد أعطيت فى طبيعتها كل معانى حجابها ؛ فاحسابها محتجب مختبىء أبداً كأنه فى إتْبٍ (١) وملاءة وبرقع وأفكارها طويلة الملازمة لها لاتكاد تتركها كأنها منها فى بيت ، وطبيعة الحذر لا تبرحها كأنها الحارث الثابت فى موضعه القائم بسلاحه على حفظ هذا الجسم الجميل ؛ وطول التأمل مُوكَّل بها كأن عمله مصاحبة وحدتها لتخفيفها على نفسها والترفيه منها ؛ والدنيا حول المرأة بمذاهب أقدارها ، ولكن لها دنيا فى داخلها هى قلبها تذهب الأقدار فيه مذاهب أخرى ؛ وضغطة الحياة طبيعية فيها حتى لايساورها هم من الهموم إلا صار كأنه من عادتها والتى تمزقها الحياة كلما ولدت لاتكون الحياة إلا رحيمة بها إذا ضغطتها .

فخروج المرأة من حجابها خروج من صفاتها ، فهو إضعاف لها ، وتضرية للرجال بها ، وماذا تجدى عادة الحذر إذا أفسدتها عادة الاسترسال والاندفاع ، فيكون حذراً ليكون إغفالاً ، ثم يكون إغفالاً ليعود الزلة والغلطة ؛ ومتى رجع غلطة فهذا أول

(١) الاتب هو بردة تشق فتلبس من غير كمين ، وتسميه الريفيات (الملس)

السقوط ومبدأ الأنقلاب والتحوّل . وليس الفرق بين امرأة نفور من الريبة ، شَمُوسٍ لاتطالع الرجال ولا تُطمعهم ؛ وبين امرأة قَرُورٍ على الريبة ، هلوكٍ فاجرة — إلا حجابَ الحذر أُسدِلَ على واحدة ، وانكشف عن أخرى .

وإذا قرّتْ المرأة فى فضائلها فانما هى فى حجابها ودينها ، وإنما ذلك الحجاب ضابط حريتها الصحيحة ، باعتبارها امرأةً غير الرجل ؛ فهو مسمّى بالحجاب لاتصاله بالحرية وضبطه لها ، ولكن الضعفاء الذين يعرفون ظاهراً من الرأى لايدركون مذهبه ، ولا يحققون ماينتهى اليه ، وينفذون فى حكمهم على الظاهر لا على البصيرة — هؤلاء لايعرفون معنى الحجاب إلا فى القماش والكساء والأبنية ، كأن حجاب الأخلاق النسوية شىء يصنعه الحائك والبانى والمستبد ، ولا تصنعه الشريعة والأدب والحياة الاجتماعية ، فهم كما ترى حين يأتون بنصف العلم يأتون بنصف الجهل .

لم يخلق الله المرأة قوةَ عقل فتكونَ قوةَ إيجاب ، ولكنه أبدعها قوةَ عاطفة لتكون قوة سلب ؛ فهى بخصائصها والرجل بخصائصه ؛ والسلب بطبيعته متحجب صابر هادىء منتظر ، ولكنه بذلك قانون طبيعى تتم به الطبيعة .

وينبغى أن يكون العلم قوة لصفات المرأة لاضعفاً ، وزيادة لانقصاً ؛ فما يحتاج العالم إذا خرج صوتها فى مشاكله أن يكون كصوت الرجل صيحةً فى معركة ، بل تحتاج هذه المشاكل صوتاً رقيقاً مؤثراً محبوباً مجمعاً على طاعته كصوت الأم فى بيتها .

***

أيتها الفتاة ، إن صدق الحياة تحت مظاهرها لا فى مظاهرها التى تكذب أكثر مما تصدق ؛ فساعدى الطبيعة واحجبى أخلاقك عن الرجل ، لتعمل هذه الطبيعة فيه بقوتين دافعتين منها ومنكِ ، فيسرع انقلابه إليكِ وبحثه عنكِ ؛ وقد يجد الفاسق فاسقات وبغايا ، ولكن الرجل الصحيح الرجولة لن يجد غيركِ .

وإنما سفورك وسفور أخلاقك إفساد لتدبير الطبيعة ، وتمكين للرجل نفسه أن يُرْجف بكِ الظن ويسىء فيك الرأى ، وعقابك على ذلك ماأنتِ فيه من الكساد والبوار ؛ عقاب الطبيعة لمستقبلك بالحرمان ، وعقاب أفكارك لنفسك بالألم . ؟

طنطا — مصطفى صادق الرافعى

فى الأفق الدولى

حديث الحرب

للأستاذ محمد عبد الله عنان

فى الآونة الأخيرة كثر الحديث عن الحرب المقبلة ، وعن أسبابها المحتملة ، وعن مواطن نشوبها والدول التى قد تشترك فيها . وكلما اظلم أفق السياسة الأوربية ، وتفاقمت مشكلة من المشاكل ، تكرر حديث الحرب ، وازداد المتشائمون تمسكاً باعتقادهم فى قرب نشوبها . ومنذ أشهر نشهد فى جو السياسة الأوربية ما ينذر فعلاً باضطراب العلاقات الدولية وتوترها ؛ فمن محالفات سياسية وعسكرية تعقد بين مختلف الدول ، ومن اعتمادات مالية ضخمة تقررها معظم الدول لتعزيز قواتها واستكمال أهباتها الحربية ، ومن تصريحات سياسية هنا وهناك تحمل على التشاؤم والجزع . ولقد كشفت الأزمة النمسوية التى وقعت منذ أسابيع قلائل من جراء الثورة التى أضرمها دعاة التحريض الألمانى لقلب النظام فى النمسا والتمهيد لأعلان انضمامها الى ألمانيا عن مبلغ توتر أعصاب الدول العظمى ، وعما يجثم فى ثنية المشكلة النمسوية من خطر على السلام الأوربى ؛ ولم تحجم أيطاليا فى هذا الظرف الدقيق عن حشد جنودها على حدود النمسا الجنوبية استعداداً للطوارئ . فاذا ذكرنا أن الحرب الكبرى أضرمت شرارتها الأولى فى تلك المهاد ، أى فى امبراطورية النمسا والمجر القديمة ، استطعنا أن نقدر طرفاً من العوامل التى تملى بحديث الحرب ونبوءاتها .

على أننا مع تقديرنا لخطر هذه الظواهر المزعجة فى سير الحوادث الأوربية ، نخشى أن يكون خطر الحرب جاثماً فى جهة أخرى غير أوربا القديمة ؛ فى الشرق الأقصى تقع حوادث ذات مغزى خطير ؛ وهذا التلاحم المستمر بين اليابان وروسيا يبطن من الخطر على السلام أكثر مما يدلى به ظاهر الحوادث . ولنلاحظ أولاً أن هناك خصومة تاريخية خالدة بين اليابان وروسيا منذ الحرب الروسية اليابانية فى سنة ١٩٠٤ ؛ وأن بينهما منافسة قديمة مستمرة مدارها التنازع على النفوذ فى الصين واقتسام المصالح الصينية ؛ وهما يلتقيان فى الصين فى مناطق ومراكز فى منتهى الأهمية . وفى الأنباء الأخيرة أن حادثاً جديداً قد وقع فى

منشوريا ، وزاد فى تحرج العلائق بين البلدين . ذلك أن سلطات منشوكيو (منشوريا) قد قبضت على عدد كبير من الموظفين الروس فى الخط الحديدى الشرقى ، وأنها تتحرش بممثلى روسيا القنصليين . وحكومة منشوكيو كما نعلم هى التى أنشأتها اليابان فى منشوريا بعد افتتاحها ، وهى التى تسيرها كما شاءت . وليس هذا التصادم هو الأول من نوعه ، فقد تكرر مراراً فى الفترة الأخيرة ، ومصدره دائماً هو النزاع على الخط الحديدى الشرقى . ولكى نعرف أهمية هذا الخط الذى يجمع بين الدولتين المتنافستين ، نقول إنه يخترق منشوريا من غربها مبتدئاً من مدينة منشولى ، ثم يسير نحو الجنوب الشرقى فى قلب منشوريا حتى يتصل بخط «أسورى» الذى يمتد الى ثغر فلاديفوستك على شاطىء المحيط الهادى . ومنه يتدفرع الى الجنوب من هربين ويتصل بخط منشوريا الجنوبى . وقد أنشىء هذا الخط فى أوائل القرن الماضى بالاتفاق مع حكومة الصين الأمبراطورية بأموال روسية وفرنسية ، وتحملت روسيا أكبر قسط فى نفقاته ، واشتركت الحكومة الصينية فيه بقسط ضئيل ؛ وبعد الحرب ادعت حكومة منشوريا بتحريض اليابان على الخط حقوقاً ؛ ثم ظهرت اليابان فى الميدان واحتلت القسم الشرقى من الخط بحجة حماية مصالحها وحماية الخط من العصابات ؛ ولما افتتحت اليابان منشوريا منذ نحو عامين أصبحت تسيطر على الخط الشرقى كله . وكان النزاع قد اشتد بين الروسيا واليابان على شئون هذا الخط الحديدى فى سنة ١٩٢٩ ، ووقعت بين قواتهما بعض المعارك الدموية ، وخشى يومئذ أن تقع بينهما الحرب . ولكنهما انتهيا بالاتفاق والتفاهم على شئون الخط ونظامه فى مؤتمر عقد بينهما فى سنة ١٩٣٠ .

ومنذ افتتحت اليابان منشوريا وسيطرت على شئونها ، شعرت روسيا أن مصالحها فى هذه المنطقة من الشرق الأقصى أضحت مهددة ، وأضحى التلاحم مستمراً بينهما . ولروسيا فى الخط الحديدى الشرقى مصالح حيوية جداً . لأنه يتصل بخط سيبيريا الكبير ، ويقصر أمد المسافة إلى فلاديفوستك ، وهو الآن تحت رحمة اليابان . ثم إن حلول اليابان فى منشوريا واقترابها بذلك من منطقة النفوذ الروسى فى منغوليا ، يهدد نفوذ الروس فى هذه المنطقة ، ويحول دون التوسع الروسى ؛ ولا تخفى السياسة اليابانية منذ وطدت أقدامها فى منشوريا أنها تعمل على سحق النفوذ الروسى فى تلك الأنحاء ؛ ولا تخفى حكومة موسكو من جانبها أنها تحرص على مصالحها ونفوذها فى الشرق الأقصى كل الحرص ، وأنها دائماً على أهبة لحمايتها بالقوة المادية ؛ وروسيا تحتفظ منذ أعوام بقوات كبيرة فى منطقة شيتا على مقربة من الحدود المنشورية ؛ وهى تحيط بمنشوريا من الشرق والشمال والغرب ، واليابان تحتفظ فى منشوريا بقوات كبيرة وتحتل الخط الحديدى الشرقى كله ، وتثير فى وجه موظفى الخط الروس كل الصعاب الممكنة وتعتقلهم من آن لآخر بتهم مختلفة على نحو ما حدث أخيراً . وقد احتجت حكومة موسكو لدى الحكومة اليابانية احتجاجاً شديداً ، وطالبت بالأفراج عن رعاياها المعتقلين ، ونوهت فى مذكرتها بروح العداء الذى تبديه بعض المقامات اليابانية نحو روسيا ، وحملت اليابان كل تبعة فيما يترتب على هذه السياسة من العواقب الخطيرة .

ومما يلفت النظر أنه فى نفس الوقت الذى يتفاقم فيه النزاع بين اليابان وروسيا إلى هذا الحد ، تذاع أنباء عن عقد معاهدة أو تحالف بين اليابان وبريطانيا العظمى . ولهذا الحادث إذا صح مغزى دولى خطير ، ذلك أن المنافسة الصناعية والتجارية بين اليابان وانكلترا بلغت فى العهد الأخير مدى بعيداً ، واستطاعت اليابان أن تنفذ بتجارتها إلى جميع الأسواق التى تسيطر عليها التجارة البريطانية ، وأثارت بذلك فى وجه التجارة البريطانية صعوبات فادحة . واستعملت بريطانيا كل نفوذها وسلطانها المادى لمحاربة هذا الخطر ؛ فاذا صح أن التفاهم قد عاد بين البلدين ، وأنهما سيؤكدان هذا التفاهم بمعاهدة سياسية تجارية ، أو أنهما قد عقدا بالفعل مثل هذه المعاهدة ، فمعنى ذلك أن نوعاً من التوازن الدولى يقوم فى الشرق الأقصى ، وأن اليابان قد استطاعت بعد عزلتها منذ نحو عامين على أثر حوادث منشوريا وانسحابها من عصبة الأمم ، أن تجد حليفة قوية تؤازر سياستها فى الشرق الأقصى ضد روسيا . والمعروف أن بريطانيا العظمى هى ألد خصوم روسيا البلشفية ، وأشدهم مقاومة لسياستها ، وأنها مثل اليابان تخشى دائماً من تقدم نفوذها ودعواتها الثورية فى الصين ، وتخشى بالأخص من دسائسها فى الهند ؛ على أن مثل هذا التحالف سيحمل روسيا بالطبع على التماس المعونة من جهة أخرى ، والظاهر أن أمريكا هى الدولة التى يمكن أن تميل إلى محالفة روسيا على مقاومة التوسع اليابانى ؛ والمنافسة شديدة بين أمريكا واليابان على سيادة المحيط الهادى ، وقد ظهرت خصومة أمريكا لليابان فى العهد

الأخير حينما احتجت غير مرة ضد توسعها فى الصين وأنذرتها بسوء عواقب هذه السياسة ، وظهر تصميم اليابان على تحدى أمريكا وغيرها من دول الغرب حينما أعلنت أنها ستعتبر الصين منذ الآن فصاعداً ميداناً للتوسع اليابانى وحده ، وأنها ستقاوم كل مجهود تبذله الدول الغربية لاكتساب نفوذ جديد فى الصين . وعلى ذلك فقد نشهد فى القريب العاجل قيام هذا التوازن الخطر فى الشرق الأقصى بين الدول ذات الشأن ، وقد تتفاقم الحوادث بسرعة ، ويضطر البلاشفة أخيراً إلى خوض حرب مازالوا منذ بعيد يحاولون اجتنابها .

***

هذا ونرى مثل هذه السحب القاتمة يحلق فى أفق القارة الأوربية . وصحافة أوربا كلها تفيض اليوم بحديث الحرب ، بعد أن كانت منذ أعوام قلائل تفيض بحديث السلام والتعاون الدولى . وقد توارت عصبة الأمم من الميدان وغاضت كل الآمال التى علقت على جهودها فى تعزيز السلم ؛ ولايحجم الساسة المسئولون اليوم عن التحدث بوقوع الحرب ؛ وأقرب شاهد على ذلك ماصرح به السنيور موسولينى فى خطاب ألقاه أخيراً على أثر انتهاء الجيش الايطالى من تمارينه السنوية ، من « أن الشعب الايطالى يجب أن يكون شعباً عسكرياً لأن بقاء الأمم رهين بقوتها ، ومن أنه إذا لم يكن أحد فى أوربا يرغب فى الحرب ، فان نذير الحرب يرى مع ذلك ظاهراً فى الأفق ، ومن المحتمل أن تنشب الحرب فى أية لحظة ، فعلى إيطاليا أن تستعد لحرب اليوم لا لحرب الغد ؛ ولقد نشأت فى أواخر شهر يوليو (يريد حوادث النمسا) حالة تشبه الحالة التى كانت عليها أوربا قبل نشوب الحرب الكبرى ، فلبت ايطاليا فى الحال دعوة الخطر وأرسلت جنودها الى الحدود ، وقضت بذلك على الأزمة » . والسنيور موسولينى سياسى عملى ، وقد كانت تلميحاته الى الحرب تثير منذ أعوام فى أوربا كلها عواصف من النقد القارص . ذلك أن أوربا كانت ماتزال يومئذ غارقة فى أحلام السلام ؛ وكانت الآمال معلقة على مواثيق السلام والتحكيم التى سادت الأفق الدولى حيناً ، وظن المتفائلون أنها ستقضى على كثير من أسباب الاحتكاك بين الأمم ؛ ولكن الأمم الأوربية تشعر اليوم أنها تعيش فى جو من التشاؤم والجزع ؛ وقد توالت فى العامين الأخيرين أحداث سياسية خطيرة ، كقيام الوطنية الاشتراكية فى ألمانيا وعملها لأحياء الروح العسكرى القديم ، وتفاقم المشكلة النمسوية من جراء تهديد ألمانيا بالقضاء على استقلال النمسا ، ونشاط السياسة الفرنسية لجمع أمم أوربا الشرقية والوسطى حولها بمعاهدات سياسية وعسكرية ، وتفاهم فرنسا مع روسيا واهتمامها بمضاعفة تحوطاتها وأهباتها العسكرية رداً على نشاط ألمانيا العسكرى ، واهتمام انكلترا بزيادة تسليحاتها البحرية والجوية ، وتصريح المستر بلدوين زعيم حزب المحافظين الانكليز بأن حدود انكلترا تمتد حتى نهر الرين ؛ فهذه كلها أحداث وتطورات ترجع باوربا الى عهد ماقبل الحرب ، وتثير فى أفقها سحباً قاتمة ، وتجعلها تشعر بأن تصريحات كالتى يلقيها السنيور موسولينى إنما تعبر عن الحقيقة والواقع .

والخلاصة أن خطر الحرب يجثم فى الشرق والغرب معاً . والدول العظمى تعمل كلها لمضاعفة تسليحاتها وأهباتها . ولكن متى تقع الحرب ، وفى أى ساحة ، ومن أى جانب ؟ هذه أسئلة تستحيل الأجابة عنها الآن . وكل مايمكن قوله أن ماتراه اليوم من توتر أعصاب أوربا يجعل خطر الحرب محتمل الوقوع لأى بادرة أو احتكاك يحدوه التحرش أو سوء القصد ، كما دلت عليه تطورات المسألة النمسوية ، فلو لم تبادر ألمانيا بوقف تحريضاتها الثورية وتعديل خطتها نحو النمسا ، ولو دفعت ألمانيا الجرأة الى حد إرسال الخوارج النمسويين الذين تجندهم فى أرضها الى النمسا ، لبادرت إيطاليا باختراق الحدود النمسوية ، ولتحركت فى الحال دول الوفاق الصغير ، ووقعت مصادمات يخشى أن تثير حرباً عالمية أخرى . وقد تقع الحرب نتيجة للنزاع الألمانى الفرنسى أو الايطالى الفرنسى ، أو نتيجة لما بين ايطاليا ويوجوسلافيا من التنافس ؛ وقد تقع فى الشرق الأقصى بين الروسيا واليابان ؛ وقد تكون ساحتها الأولى فى النمسا أو فى البانيا أو على حدود الرين . تلك احتمالات تبررها الحوادث والتطورات الجارية ، ولكنها لاتخرج عن حد الاحتمالات .

لسنا من المغرقين فى التفاؤل أو التشاؤم ، ولكننا لا نستطيع أن نؤمن بقول مستر لويد جورج أن الحرب لا يمكن أن تقع قبل عشرة أعوام .

محمد عبد الله عنان
المحامى

ماهو أدب اليوم ؟...

للأستاذ كرم ملحم كرم

أدب اليوم رواية وقصة

فالمنشئون من أى طبقة كانوا لا يعتمدون فى معظم مؤلفاتهم على غير الحكاية والرواية ، فالفن القصصى هو السائد . وأكثر الأدباء بلغوا القمة فى إخلاصهم لهذا الفن . ولا بدع ، فالرواية محك الأدباء . المنشئ البليغ يظهر فيها ، والكاتب الركيك السمج يفضح نفسه إذا توكأ عليها

وأكابر الأدباء فى العالم لجأوا إلى القصة يذيبون فيها بلاغتهم وقوة بيانهم . فما أحجم عنها « فولتير » ولا « جان جاك روسو » ولا « لامارتين » ولا « ألفرد ده موسيه » ولا « فكتور هوجو » ولا « فرنسوا كوبيه » ولا « تولستوى » ولا « ادجار والاس » ولا « كونان دويل » ، فكلهم مال إلى القصة يعالجها

وإذا لم تكن رواية « غرازييلا » أو رواية « رافائيل » أسمى من شعر لامارتين فهما لا تقلان سمواً عن هذا الشعر . وإذا لم تكن رواية « البائسون » لفكتور هوجو أرفع من منظومه فقد عادلت هذا المنظوم ، ونفحت الشاعر بشهرة فوق شهرته ، وزادت فى تخليده ، وحملت عشاق الأدب الروائى على التحدث عنها فى العالم أجمع . فان شهرة « البائسون » شهرة عالية لا يجهلها ذو أدبى . وما يقال فيها يقال فى « غرازييلا » و « رافائيل » للامارتين ، وفى اعترافات جان جاك روسو . أليست إعترافات جان جاك روسو حكاية من الحكايات وفيها يحدث الرجل عن نفسه ؟ . . .

نعم لقد تربع جان جاك روسو فى « عقده الاجتماعى » فى ذروة الفلسفة ، على أن « اعترافاته » رفعت من مقامه كأديب ، وباتت خالدة كمؤلفه الفلسفى ، فمن شاء الوقوف على حياة الرجل فليس له إلا أن يقلب « الاعترافات » فيدرك من هو جان جاك روسو

و « أناتول فرانس » أستاذ الأدباء فى مطلع القرن العشرين مدين بشهرته لرواياته ، ومثله بلزاك ، وأميل زولا ، وموريس بارس ، ومارسيل بريفو ، وهنرى بوردو ، ورينه بازان ، وبول بورجيه ، فان أعظم أدباء فرنسا لا تقوم شهرتهم على سوى الروايات التى أنشأوها ، ومثلهم أدباء انكلترا وروسيا . فالقصة إذاً أساس الأدب العالى

والدين نفسه يقوم على الروايات . فما هو كتاب التوراة ، وما هو الانجيل ، وما هو القرآن ؟ أليس للرواية من هذه الكتب الدينية أكبر نصيب ؟

وإن تكن التوراة أقدم كتاب تتداوله الأيدى ويتسنى للجميع الاطلاع عليه ، جاز لنا القول أنه أول كتاب عرفه العالم مشيد الأركان على القصة . فهو يبدأ بقصة وينتهى بقصة . والكتب الخالدة فى معظمها — إذا استثنينا كتب الفلسفة والعلم — كتب قصصية سواء صبت نظماً أو نثراً

ولا شأن اليوم فى المؤلفات الأدبية لسوى المؤلفات القصصية ، وهذه الكتب التى تتمتع بالجوائز الضخمة ، ولا سيما جائزة « نوبل » ، لا تخرج فى سوادها الأعظم عن النطاق الروائى

ولقد جاء الأدب العربى فى عهده الأول بما يعجز عنه الغرب من قصص وروايات . فما هى « كليلة ودمنة » ، وما هى « الف ليلة وليلة » ، وما هو « عنتر » ، بل ماهى « الأغانى » ، وما هو « المستطرف » ، وما هو « العقد الفريد » ، وما هى « نهاية الأرب » ؟ . . . كلها زوايات وقصص : وإن تكن كليلة ودمنة غير عربية المولد فهى لم تخلد فى سوى النص العربى . وباستطاعة لغة الضاد أن تتبناها ، خصوصاً ولها عليها باستبقائها يد بيضاء

وما يقال فى كليلة ودمنة يقال فى ألف ليلة وليلة . فالأدب العربى احتضن الف ليلة وليلة وتعهدها بالبقاء . ويمكن الأدعاء أنها عربية الوجه واللسان . أما رواية « عنتر » فقد روى أنها من سبك الأصمعى . والأصمعى — الف رحمة الله عليه — خير من لفق واختلق ، وروى وتحدث ، وسرد وابتكر واخترع . ولقد أتى بالعجائب وهو فى تلك الصحراء الكاوية اللاذعة . فبهر العيون وملك الألباب بغزارة علمه وفرط ذكائه وعذوبة حديثه وفيضان بحره . فانه ليتدفق كالسيل فى الحديث عن الأعراب وعشقهم وغرامهم . ويروى حكاياتهم بدقة وإبداع ، فيسحر سميعه وجليسه ، ويستدر رفد الملوك والعظماء ، ويجود

بالمعجزات فيقصر عنه المتطاول والمقلد واللاحق ، كأن سر الرواية فى الأدب العربى القديم لم يفتح على غير الأصمعى

ولو ظهرت كليلة ودمنة والف ليلة وليلة فى هذا العهد لكان الأدب العربى سيداً فى الفن الروائى ، حتى وإن يكن ثمة من يزعم أن الكتابين ليسا من مبتكرات الأدب العربى ، فليس من أدب غير الأدب الشرقى يسبح فى هذا الخيال الرحيب الخصيب

ولا ننسى أن أداء القصة وسياقها فى كليلة ودمنة والف ليلة وليلة يختلفان كل الاختلاف عن مثلهما فى روايات اليوم . فهما جديدان مبتكران لقوة المخيلة فيهما اليد الطولى . ومن المحال أن يوفق فيهما ويهتدى اليهما من لم يكن يحلق فى الأفلاك

واختلافهما عن روايات اليوم يحببانهما إلى عشاق الروايات ويفسحان لهما المقام الأول فى الأدب العالمى ، ولكن أين من يقوى على توفير ذلك النسيج ؟

ربما جهل الأدب العربى يوم طلعت فى سمائه « كليلة ودمنة » و « الف ليلة وليلة » قيمة هذين السفرين . ربما أعرض عنهما وشغف بمقامات الهمذانى والحريرى — ومقامات الهمذانى والحريرى فن روائى خاص — على أنه اليوم يدرك شأنهما ولا يتنكر لهما بل يفاخر بهما وإن يكن استمدهما من بلاد الهند وفارس كما ذاع وشاع

لقد كان الأدب اليونانى يحفل بهذه الأقاصيص البارزة فى كليلة ودمنة والف ليلة وليلة . ومن هذا الأدب نهل « لافونتين » فى أقاصيصه الفرنسية ذات الشعر الطليق . على أن ثمة من يقول ، ويثبت ما يقول ، أن « لافونتين » سمع بكليلة ودمنة فاقتبس منها وصاغ تلك الأقاصيص الواقفة فى طولها عند الفتر ، وإن تجاوزته فالى الشبر ، الملأى بالمغزى الرائع والارشاد البليغ ، فاستعان بالحيوانات على تأديب الملوك شأن ابن المقفع فى كليلة ودمنة . ومما يدل على اقتباس « لافونتين » من كليلة ودمنة أن بين ابن المقفع ولافونتين نحواً من ألف سنة ، وأين كان الأدب الفرنسى يوم كان الأدب العربى زاهراً ريانا يناطح السماء ؟ . .

قد نسمع ممن نحدثه عن كليلة ودمنة وألف ليلة وليلة أنهما شىء قديم . غير أن هذا القديم لاتخلق جدته . فهو أبداً جديد . وعشاق الروايات وقد ملوا طراز اليوم ، وبعضه يشبه بعضاً ، يميلون الى الجديد . وروايات ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة مما يجوز أن نسميه جديداً ، وإن تكن انبثقت منذ ألف عام .

ولا نكير فى أن ثمة خرافات وأساطير ، على أن الخرافات والأساطير إذا عرضت على الناس فى إناء مزخرف براق وكانت دسمة طيبة ازدردها الناس وهضمتها المعد . وخرافات ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة كالفاتنة الحسناء ، وكل مايعاب على ألف ليلة وليلة المجهولة الأم والأب أنها ركيكة ضعيفة فى قالبها ، ولو اتفق لها من يصوغها فى بيان ابن المقفع لنافست كليلة ودمنة فى متانة تعبيرها وصحة مبناها .

ومما نستدل به على أن كليلة ودمنة وألف ليلة وليلة يثيران ضجة بعيدة الصوت فى الأدب العربى ، لو برزا اليوم الى النور ، ويتربعان فى القمة العليا من الفن الروائى ، مايلقيان من غزو الروائيين الأجانب . فكل يوم يرزحان تحت غارة جديدة . وليست رواية « حديقة على العاصى » للكاتب الفرنسى الشرق الديباجة « موريس بارس » غير قبس من ألف ليلة وليلة . وما رواية « الأتلانتيد » لبير بنوا غير صفحة من صفحات الف ليلة وليلة . فكأنها مستوحى أدباء الفرنج يسلبونها أطايبها الباحة دون أن يقف فى سبيلهم من يقول لهم : ماذا تفعلون ؟ .

ومع كل احترامنا للتوراة وتقديرنا لها نجرؤ على أن نقارن بينها وبين ألف ليلة وليلة مقارنة صادقة لاترمى مطلقاً الى الحط من قدر الكتاب الكريم . إن هى إلا مقارنة أدب بأدب . وكل مانريد إثباته أن ألف ليله وليلة أضحت لدى كتاب الغرب أشبه بالتوراة . فكما يغيرون على التوراة يستوحونها يغيرون على ماجادت به علينا شهرزاد اللسانة ، أو الثرثارة ، التى لا تسكت عن الكلام المباح إلا حين يطلع الصباح .

ولاتقف غارة كتاب الغرب عند الف ليلة وليلة ، بل هم يشنون أبداً الغارة علينا ويستأثرون بكنوزنا ونحن عنهم فى غفلة ، فلا نراهم إلا يشدون الرحال الى هذا الشرق ، هذا الشرق الحافل بكل غريب ، الطافح بالأسرار ، المنبثقة منه الأديان ، المتصاعدة من معابده روائح البخور تنفثها المجامر الحمراء . هذا الشرق القديم فى حضارته وهياكله وآلهته ، المثقل بالرموز والأشباح والعفاريت ، المخيمة عليه حسرات داود وحكمة سليمان ، هذا

الشرق الراسخة فيه المساجد العالية القباب ، والمآذن الناطحة السحاب ، والمستورة فيه المرأة وراء ألف حجاب وحجاب . هذا الشرق مهد الناقة والبعير ، المتهادية فيــه العمائم والقلانس والطرابيش ، المكردسة فيه الذكريات أطباقاً فوق أطباق ، من عهد الفراعنة ، الى عهد العبرانيين ، الى عهد الأشوريين ، الى عهد الفرس ، الى عهد العرب ، الى عهد الأتراك .

وعلينا ألا ننسى الصليبيين . فالصليبيون أموا هذه الديار . ومنذ أقبلوا والغارات علينا تتلو الغارات فى الميادين كلهـا ، فى السياسة والأدب ، فمن غزو الى استعمار . !

***

ومن غزاتنا فى أدبنا « بيير بنوا » القصصى الفرنسى . فهو يفكر اليوم فى وضع رواية تتناول فصولها جماعة الصليبيين وتدور حوادثها عليهم . فهم أبطالها وسادتها وحجر الزاوية فيها ، ولبيير بنوا أن يقول فى الصليبيين ماشاء . فالقول ذو سعة ، ومخيلة الكاتب قد تأتيه بالمبتكر ، ولكن هل عوّدنا بيير بنوا الأبتكار ؟ . . .

كل مارأينا من بيير بنوا لا يزيد على كونه مقتبساً ، وهذا الأقتباس لاغبار عليه لوعرف الكاتب كيف يتلاعب به ويمنحه من قوة الخيال والجمال ما يرفع من شأنه ويزيد فى قدره ، أما أن يكتفى بالاقتباس دون أن يضيف اليه الأبتكار المورق السمين فأى عمل أتاه ؟ . . .

وبيير بنوا ليس من المبتكرين فى إنشائه ولا فى حوادث روايته فهو من الطبقة الوسطى فى الروائيين ، وفى طبقة دون الوسطى فى المنشئين ، حتى وإن يكن يكتب باللغة الفرنسية . فليس كل مايكتب باللغة الفرنسية وبسائر اللغات الحية بليغاً عالى الديباجة باقياً على ممر الأيام . فكل لغة حافلة بالمبتذل السخيف . كل لغة يتلاشى منها معظم مايكتب الكاتبون وينشر الناشرون . ولايخلد من ثمار القرائح غير جزء من عشرة آلاف جزء . وإذا بقى شىء من مواليد « بيربنوا » الأدبية ، فلا ريب بأن روايته «ربة قصر لبنان» — وقد استمدها من لبنان — ليست بذلك الجزء الباقى ، فهى تحت رحمة الفناء ، وربما استطعنا أن ننعاها منذ الآن .

قد تبقى منه رواية «الاتلانتيد » ، على أن رواية « الاتلانتيد» من سرقاته لا من مبتكراته . وكل تفننه فيهـا أنه انتقل بها الى أفريقيـا ، الى الصحراء ، الى تلك الديار القاحلة العجراء . وماذا يقال عنه فيها ؟ . . . يقال إنه صاحب « الاتلانتيد » ليس غير . وقد يجوز لك أن تقرأ « الاتلانتيد » كما يجوز ألا تقرأها . فاذا قرأتها خرجت منها صفر اليدين . وإذا وقفت عن قراءتها ربحت الوقت إن يكن الوقت عزيزاً عليك . وقد تسأل : كيف بلغت رواية « الاتلانتيد » هذه للشهرة العالميـة ؟ . . . وجوابنا أن المؤلف أجاد بث الدعوة لروايته ، فذاع لهـا الصوت العاطر فى الأندية الأدبيـة جمعاء قبل أن تقف هذه الأندية على مضمونها . وشـاق الذين طالعوها من الغربيين تلك الصبغة الشرقية فيها . وجاءت دور السيمياء ترفع من مكانتها . والحق يقال إن « الاتلانتيد » نجحت فى عالم السيمياء أكثر منها فى عالم الأدب

واليوم و « بيير بنوا » يفـكر فى وضع روايتـه الصليبية سوف نرى أى وحى هبط عليه . أيدرك التوفيق أم لا يوفق ، ونحن نرتاب فى توفيقه لمعرفتنا شأنه الأدبى . غير أننا لانستطيع الانـكار ان الرجل من الغزاة الفاتحين . فهو يقبل علينا ينتزع منا موضوعاته الروائية ونحن نشاهد ما عندنا من كنوز ولا نـكلف أنفسنا نبشها وإبرازها إلى النور . فالرواية فى الأدب العربى الجديد لاتزال فى المهد ، مع أن الأعصر العباسية حفلت بها وراحت تفاخر العالم بثمارها اليانعة الشهية ، ولا يبرح العالم يتذوق هذه الثمار وسيتذوقها ما دام الأدب وضاء الجبين

وليت أدباء اللغة العربية يدركون اليوم شأن القصة ، فتعالجها أقلامهم بما يعيد إلى الأدب العربى مكانته الأولى وعزه القديم . فالرواية حجر الزاوية فى كل أدب ، وفى كل نهضة ، وفى كل دين !

بيروت **كرم ملحم كرم**

صاحب جريدة « العاصفة »

لا تحـــزنى ...

بقلم جورج وغريس

لا تحزنى يا سيدتى . فهكذا شاء القدر أن يدفع بك الى محيط هذا العالم ذرة مضطربة من ذراته التى لا تستكين ولا تهدأ . .

كلما حضرنى أمرك أيتها السيدة ، شعرت بالألم يحز فى قلبى ، وأحسست بالحياة كلمة غامضة فى سجل مبهم ، ورأيت السعادة كذبة هائلة انحدرت من شفاه الأبالسة الى آذان هذه الأجيال التعسة الحالة . .

لا تحزنى أيتها السيدة الكريمة ، وكفكفى دمعك لأنك لست بمستطيعة أن تغطى الأفق الوسيع بكفك الصغير ، ولست بقادرة أن تحولى دون الريح وهبوبها ، أو النهر وجريانه . .

قبل أن تغرب شمس اليوم رافعة بأشطانها أوزار العالم وأوحاله لتقدمها الى صاحب العرش الأعلى . . . جاءنى طفلك الصغير ، وكأن أحزان العالم قد وسعها قلبه الغض وهو يلهث من التعب ، وأخذ يبكى ويقول لى فى كلمات يقطعها البكاء : « تعال لتخفف عن أمى . . . إنها حزينة من الصباح . . . إنها طريحة الفراش . . . باكية منتحبة ... وكلما سألتها السبب قالت : إن أباك لم يعد . . . فمن يكون أبى ؟ ومتى يعود . . ؟ إننى لا أفهم ما تقوله أمى . . »

فيا رحمة الله أدركينى . . . بأى لسان ينطق هذا الطفل . . ؟ أتستطيع ملائكة الرحمة أن تظل واجمة ساكنة ؟ أتظنين يا سيدتى أن الرياح حملت فيما تحمل تلك الكلمات التى نطق بها هذا الصبى البرىء . . . ؟ كلا بل إنها ستبقى خالدة فى نفسى ما بقيت . . . وستظل حائمة فى فضاء هذا العالم لتصرخ فى آذان الجيل بعد الجيل أن الانسانية ما وجدت إلا لتشقى ، وأنه ما من أرض إلا وزرعت فيها التعاسة ، وما من حاصد فيها إلا وهو للبؤس ربيب . .

من يقول لطفلك أيتها السيدة الحزينة إن أباه هو الشر الذى ولد الخير ، والحبة النتنة التى أنبتت الزرع الجميل ، والحشرة القذرة التى انبثق منها الشهد ، والريح الخبيثة التى خلقت النسمة الطيبة ، والغيم الحالك الذى بعث ببهجة الأرض ، وهو اليد التى دفعت به الى الحياة . ثم تراجعت متخفية كاليد السارقة التى تأخذ غادرة ولا تعترف بعطاء . . .

من يقول لطفلك ياسيدتى إنه ما من وليد من أمثاله إلا وله أب يرعاه بعنايته . أما هو فيتيم وإن كان أبوه حياً يرزق ، ولكنه يشاء اليتم لابنه ويريد العقم لنفسه ، وليس وا أسفاه فى قوانين الأرض ما يرد تلك المشيئة أو يمنع تلك الارادة ، وليس وا أسفاه فى نتاج الانسانية بعد جهاد القرون ما يخفف أنين الطفل وهو يسائل الحقيقة « من يكون أبى . . . ؟ »

ياسـيدتى الحزينة — خففى عن نفسك فما أردت أن أثير أشجانك . . . دعى الماضى يمر أمامك كالأطياف السريعة . . . ماذا يؤلمك وماذا يبكيك ، وأنت ربيبة الألم ووليدة البكاء؟ . . . لقد كنت فتاة فى منزل أبيك تقاسين من غلظته ، وتعانين من زوجته ، وتشكين فراق أمك المطرودة البعيدة . . . وكما خرج موسى من أرض مصر ، خرجت أنتِ من سجن أبيك الى دار زوجك ، ولكنك لم تجدى فى صحرائه مَناً ولا سلوى . . فمسكينة أنت أيتها السيدة . . لقـــد رضعتِ الشقاء ، والشقاء مازال فى أحضانك رضيعاً يترعرع . . . ورشفت الكأس وثمالته أشد مرارة . . .

مسكينة أنت أيتها السيدة . بل مسكينة كل امرأة تعيش فى كنف زوجها الغاصب ، لأنها لا تستطيع أن تلامس أطراف السعادة ولو كانت الجنة تحت قدميها . . . غريب أمر الرجل فى هـذه الحياة ، خلق الله له المرأة ليأتنس بها فخلق هو لها الوحشة ، وجعل الله له القوة ليحمى ضعفها فنازلها بقوته . . . ومنذ انحدر آدم الى هذه الأرض والفضيلة والرذيلة تعتركان ، أما الحق فمخبوء أبداً . . .

لا تحزنى ياسيدتى لأن الحزن لا يقدم من شأنك ولا يؤخر ، فانما أنت مخلوق ضعيف أسلمته يد الأقدار الى قبضة عاتية . . . ومادامت المرأة فى دولة الرجال ، فسوف لا تعيش إلا ذليلة مسكينة . . . لأنهم يصنعون الشرائع ويحتكمون الى أنفسهم ثم يحكمون . . .

لا زلت أذكر ياسيدتى اليوم الذى أتيت فيـه الى جوارنا ، وكان زوجك يتعهد هذا الوكر برعايته ، يبادلك الوفاء ، ويقاسمك السعادة ، ولـكنه كان متكلفاً فى هذا العناء فقبل أن يرى طفلك النور . انسل كاللص السارق ليعيش فى الظلام . . . ومنذ ذلك الحين الى الآن وزوجك مقبور فى حفرة الأحياء ، لا يتلمس النور ولا يتسقط الماء . . .

ما أغرب هذه الطبيعة البشرية وما أعجب أمرها . . . إذا أصابها التقلب والتلون نسيت ما فعله يومها فى أمسها ، وبَعُد خيرها عن شرها ، وتنكر حاضرها لماضيها . . . فإذا بصاحبها إنسان لا يستأنس ، وإن كان الحيوان قد بدأ ينسى ما فى أحط غرائزه من غدر وفتك وبطش . . .

قومى ياسيدتى ورفهى عن نفسك فلكل بداية نهاية ، ولا بد لحقك أن ينتصر اليوم أو غدا . لأن الألم الذى تعانى لم يحترق بمثل ناره قلب من قبل ، والدمع الذى ينهمر من عينيك الغائرتين على وجهك الشاحب لم تدانه فى حرارته ما سكبته عيون الشقاء منذ ولادته . . .

للمريض آلام وللفقير آلام ، للمتعب آلام وللضعيف آلام ، للغريب آلام وللطريد آلام . . . وآلامك أنت أيتها الشقية المظلومة تسمو على كل ألم . فيجب أن تسمو نفسك بقدر سموها . ويجب أن ترفعى رأسك فوق الطوفان الذى يغمرك ، ولكن مثلك فى ذلك مثل الحادى وراء الابل يقطع الفيافى على قدميه ، وقد أمضه التعب وأضناه الجوع وعضه الفقر ، وهو يغنى أنشودة الحياة والحب والفرح . . .

فى بكائك المتواصل « قولى ما يقوله الفلاحون عن غيث السماء : هذا المطر كله حنطة » . . .

فى ظلامك الدامس تطلعى الى الخيوط الرفيعة البيضاء التى تتراءى لك من وراء الأفق ، وارفعى نحوها بصرك . . .

قومى ياسيدتى . ولا تجعلى للألم سلطاناً على نفسك . فقد فعلت بك العلة فعلها . . وارحمى طفلك الذى هوى على صدرك ليمزج أنات قلبه بدقات قلبك . . قومى ياسيدتى وهات يدك . . .

***

قلت هذا بجوار سريرها . . ثم مددت يدى الى يدها . فاذا بها باردة ! . . .

يالشقاء نفسى ! . لقــــد كنت بكلماتى الأخيرة أخاطب الأرواح الحائمة حولى . . فى استطاعة المرء أن يذكر كل ما يجول بخاطره ، ولكنه ليس فى استطاعته أن يقول كل مايبدو لناظره .

أيها الرجل . . لقد ماتت تلك المرأة !

اسكندرية — جورج وغريس

الأزمة كما يراها الاقتصاديون

بقلم عبد العزيز عبد الكريم

كانت الشعوب القديمة تشكو من القحط والمجاعات . قال الله تعالى فى كتابه العزيز فى سورة يوسف : « وقال الملك إنى أرى سبع بقرات سمان يأ كلهن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ، يأيها الملأ أفتونى فى رؤياى إن كنتم للرؤيا تعبرون » . هذا مارآه ملك مصر فى منامه ، فلم يعرف أحد تأويل رؤياه ، وكان يوسف حينئذ فى السجن ، فاستدعاه الملك واستفتاه فى أمر الرؤيا ، ففسر يوسف المنام قائلاً له : إنه سيمر عليكم سبع سنين خصبة ، فازرعوا فيها واخزنوا ما زرعتم وهو فى سنابله إلا قليلاً مما تأكلون ، ثم يعقبها سبع سنين مجدبة ، تأكلون فيها مما ادخرتم .

***

وقد تطورت الآن وسائل المعيشة وأحوالها ، وتبدلت طرق الكفاح فى سبيل العيش ، وارتقت الزراعة والصناعة والتجارة ؛ فنشأت بازاء هذا التبدل مشاكل جديدة ، وظهرت معضلات خطيرة . وأشد مانعانيه الآن من النظام الاقتصادى الحالى هو الأزمة التى انتابت العالم بأسره ؛ وقد خلقت للعالم مشاكل عديدة لاتنحل ولا تزول إلا بالسلاح .

الأزمة هى اضطراب فجائى فى التوازن الاقتصادى ؛ ولها أعراض وعلامات تشابه أعراض الأمراض التى تصيب الانسان ، فبعض الأزمات يقتصر على بلد واحد ، وبعضها وبائى يتنقل فى أنحاء العالم كمرض الكوليرا .

***

عرف الاقتصاديون بعد طول البحث أن ظواهر الأزمة وأعراضها هى هى فى كل الأزمات تقريباً . وأول مايشير إلى نشوء الأزمات تناوبها ؛ فقد رؤى أنها تتبع بعضها بعضاً فى القرن التاسع عشر بنظام منتظم عجيب ، فبين كل أزمة وأخرى مدة تبلغ عشر سنوات أواثنتى عشرة سنة ، نصفها يمثل حالة صعود ،

والنصف الآخر يمثل حالة هبوط ، ويظهر ذلك فى تقلبات الأسعار والأجور ، وأسعار الفوائد .

ومن ظواهر الازمة وبائيتها ، فى بادىء الأمر يزيد الانتاج فى احدى الصناعات أو ينقص ، وينتقل هذا الاضطراب من صناعة إلى أخرى ومن بلد إلى آخر .

هناك ثلاث عـلامات خاصة تسبق الأزمة ، وتعلن قرب حلولها :

(١) ارتفاع فى الأسعار يدل على نشاط الاستهلاك ، ووفرة الأموال المتداولة وسهولة الاقراض .

(٢) ارتفاع فى قيمـة الضمانات القابلة للتحويل وخصوصاً الأسهم والسندات ، ويدل ذلك على تقـدم المشروعات التجارية وزيادة الانتاج ، وزيادة الحصص فى رؤوس الأموال .

(٣) ارتفاع فى الأجور يشـير إلى نشاط سوق العمل ، وزيادة الطلب للعمال .

غير أنه بعد وقت ما ، تتغير الحال وتنقلب حالة الصعود الى حالة هبوط ، ونجد أمامنا :

(١) تدهوراً فى الأسعار : يدل على عجز الاستهلاك ، وندرة الأموال المتداولة وصعوبة الأقراض .

(٢) تدهوراً فى قيمة الضمانات : يدل على تدهور الأرباح والحصص ، وفشل المشروعات الـكبرى الخطيرة ، وسقوط يرافقه ارتفاع فى سعر الخصم والقطع .

(٣) تدهوراً فى الأجور : يدل على شلل الأنتاج ، ووقف طلب العمال ، والاشراف على الوقوع فى خطر العطلة والعاطلين .

والأزمات التى وقعت فى القرن التاسع عشر تواريخها كما يلى :

١٨١٥	١٨٥٧	١٨٩٠
١٨٢٧	١٨٦٦	١٩٠٠
١٨٣٦	١٨٧٣	
١٨٤٧	١٨٨٢	

وقد لاحظ جيفونز gevons من هذه التواريخ أن الأزمات والت بعضها فى خلال فترات ومسافات منتظمة تبلغ كل واحدة منها عشر سنوات تقريباً . وقد ظن أن الأزمات يرجع سببها إلى ظاهرة فلـكية لا سلطان لأحد عليها . ولـكن القرن العشرين قد دحض نظريته هذه ، فان أول أزمة وقعت فيه كانت فى عام ١٩٠٧

* * *

اهتم الاقتصاديون بالبحث عن أسباب الأزمات ، وأخذوا يبحثون عن علة توالى الأزمات وتناوبها ، فاهتدوا أخيراً إلى الأسباب الآتية :

(١) وفرة الانتاج (over-production) : لاتنشأ وفرة الانتاج إلا عن تقدم الصـناعة الـكبرى . فمن البديهى أن البضائع المعروضة فى السوق سوف تزيد يوماً ما على حاجة الاستهلاك ، ويصبح من العسير تصريف شىء ما من هذه المقادير ؛ فينتج عن ذلك تدهور عام فى الأسعار ، ولـكى يتجنب الصناع البيع مع الخسارة يحصلون على الأموال من المصارف ، أو يبيعون الأسهم ، فينشأ عن ذلك ارتفاع فى الفوائد ، وتدهور فى قيمة الأسهم ، حتى يصبح المال نادراً ، وذلك راجع إلى زيادة السلع المعروضة . وسرعان مايصبح هؤلاء الصناع فى حال من الافلاس والضنك يرثى لها .

وها قد رأينا كيف يسبق الانتاج الاستهلاك ، وكيف يقف الانتاج عن السير عند حد معين ، وكيف يسير الاستهلاك حتى يلحق الانتاج ، فيسبقه بدوره ؛ وهذا السبق لابد منه . فظاهر لنا فى هذه الحال علة تناوب الأزمات : وكل أزمة يعقبها وقت تعوض فيه الصناعة خسارتها ، وتنتعش حالها ، ويتجدد إنتاجها ليسد مطالب الأفراد الحديثة .

(٢) قـلة الأستهلاك (under-consumation) : ويذهب بعض الاقتصاديين الى أن الأزمات هى فى الغالب راجعة إلى زيادة الانتاج الناشئة عن شراهة أصحاب رؤوس الأموال الذين يحاولون استرداد ما فقدوه من الأرباح عن طريق الكمية ؛ ولـكن السبب الأسـاسى هو عدم كفاية ثروة أغلب المستهلكين – وأغلبهم من طبقة عمال اليومية – لابتياع ما أنتجوه وما صنعوه بأيديهم ، فزيادة الحاجة إلى الصناع لتوسيع الانتاج وزيادته ، وزيادة عمال الأجور ، وعدم القدرة على تسديد أجورهم ، تؤدى إلى اضطراب التوازن فى وقت من الأوقات . ويزيد الاضطراب وتشتد الأزمات حتى يحين الوقت الذى يقضى فيه على نظام الرأسمالية . فهذا النظام مقضى عليه بالفناء بسبب النتائج التى أدى إليها .

(٣) زيادة الرأسماليـــة (over-capitalisation) : اتفق

الاقتصاديون على أن زيادة الرأسمالية أخطر من زيادة الانتاج فى إحداث الأزمات . إن المصانع الكبرى يلزمها ترتيب حركة دولاب العمل بتجهيز الآلات ، والمناجم ، والعربات ، والسفن وغير ذلك . وإذا كان المصنع على أهبة الاستعداد للعمل ، فقد يرسل غلالاً لاحصر لها إلى السوق . وليس فى الامكان وقف هذه الحركة متى رغبنا ، لأن رأس المال ثابت لا يمكن سحبه بأى حال من الأحوال . تتدهور الأسعار تبعاً لذلك ، وتفلس أكثر المشروعات ، أو تستسلم للأمر ، حتى تتصرف الزيادة زيادة الاستهلاك نظراً لتدهور الاسعار .

والاقتصاديون يعتبرون أن قلة الانتاج ليست سبباً من أسباب الأزمات أو ظاهرة من ظواهرها : فلماذا ؟ ألا يضطرب الميزان الاقتصادى بقلة الأنتاج كما يضطرب بزيادته ؟ بالرغم مما تحدثه قلة الأنتاج من البؤس والفناء والموت ، وبالرغم من القحط والمجاعات التى سجلتها الحوادث المخيفة والشهيرة فى تاريخ الشعوب كلها ؛ فان الاقتصاديين لم يجمعوا الآراء على أن القحط والمجاعات نوع من أنواع الأزمات ، إذ ليس من خواصها التناوب ، ولا ارتفاع الأسعار قبلها ، ولا هبوطها بعدها .

***

أما علاج الأزمة : فيقف على نوع الأسباب التى أدت إليها . فاذا اعتقدنا أن السبب هو زيادة الانتاج ، وجب علينا أن نعمل على تحديد ذلك الانتاج ، فيمكننا توحيد الشركات وتضامنها ، وتنظيم إنتاجها لنتمكن من منع زيادة الأسعار المطردة وهبوطها أيضاً ؛ ويمكننا إيجاد حركة تعاون بين الشركات لتنظيم حركة الأنتاج تبعاً للحاجات لا تبعاً للأرباح .

ولو اعتبرنا أن سبب الأزمة هو أن طبقة العمال ليس لديها من الثروة ما يعينها على زيادة الاستهلاك كلما زاد الانتاج ، كان من الضرورى أن نبحث عن نظام يضمن للعامل نجاح كل ما ينتجه .

وإذا نظرنا إلى زيادة الرأسمالية ، وجب أن نلجأ إلى المصارف إذ هى أكبر عضد لمساعدة الشركات وإمدادها بالأموال . قد تتدخل المصارف ، إما برفع سعر القطع لديون الآجال المحدودة ، إذا رأت أن سرعة التداول تزداد إلى درجة مقلقة ، وإما بانقاذ البيوت الكبيرة الوشيكة السقوط والضياع ، إذا كان لسقوطها الأثر الفعال فى إحداث الاضطراب وشل الحركة التجارية .

والأزمة الناشئة عن زيادة الرأسمالية تزداد وتشتد وطأتها بسبب الذعر والتشاؤم الاقتصادى . والتنبؤ بالأزمة يزيد الخطر ويعوقنا عن العمل على تلافيها ، فما أجدرنا ألا نعتقد ذلك ، فالخوف من الشر يولد الشر ، والتفاؤل بالخير يجلب الخير ؟

اسكندرية — عبد العزيز عبد الكريم

فصول مدرسية فى الأدب الدرامى

٤ – الرواية المسرحية

فى التاريخ والفن

بقلم أحمد حسن الزيات

أجزاء أخرى للعمل

ذلك هو التقسيم الأساسى للعمل ، وهناك تقسيم آخر أغفله اليونان واستعمله الرومان ، وهو تقسيم العمل الى فصول ، والفصول الى مناظر . فالفصول هى مراحل العمل أو درجاته ، تفصل بين كل درجة وأخرى فترة تسمى استراحة ، والمناظر أجزاء الفصل المختلفة ، وتحدد بدخول ممثل أو خروجه . ولعلك لا تكتفى بالتعريف فى شرح هذه الكلمات ، فدونك شيئاً من التفصيل :

الفصل : لم يعرف الأغريق كما قلت تقسيم الرواية الى فصول ، وإنما كانوا يعرفون شيئاً يشبه ذلك فى تمثيل ثلاث مآس فى موضوع واحد ، كل مأساة لها كيان مستقل عن الأخرى . أما اللاتين فقد قسموها إلى فصول حصرها هوراس فى خمسة لا تزيد ولا تنقص . ففى الأول يعرض العمل ، وفى الثانى يبسط ، وفى الثالث يُعقد ، وفى الرابع يهيأ حله ، وفى الخامس يحل . ولكن جعل هذا التقسيم قاعدة مطلقة لا يخلو من ضرر . وإلا فماذا يصنعون فى موضوع يعرض فى منظر ويحل بكلمة ؟ أيترك وهو طريف مؤثر صالح للتمثيل ، أم يملأ بالتطويل والحشو حتى يكمل ؟ وما حكمهم على مأساة أو ملهاة محكمة النسج لا تبدأ عقدتها إلا فى الفصل الثالث ، ثم يخصص لحلها الفصل الخامس ؟ إن التعقيد هو جسم العمل وروحه كما علمت ، فينبغى أن ينزل من الرواية فى أوسع محل ، بل يجب أن يكون كالتيه ، مدخله العرض ومخرجه الحل . وأمهر الكتاب وأقدرهم من عجل بالتعقيد ثم طوله ما استطاع محكما لقوته ، متدرجاً فى عقدته .

الحق أن جريان العرف بتقسيم الرواية الى خمسة فصول ليس قائماً على أساس متين فيفرض ، ولا هو خالياً من الفائدة الفنية فيرفض ، إنما المرجع فى ذلك كله إلى طبيعة الموضوع ، فاذا كان قويا غنياً يستطيع أن يملأ خمسة الفصول كان ذلك التقسيم أدعى الى افساح العمل وتقوية الجاذبية وتحليل الأخلاق واطراد الحوادث من غير ضغط ولا اصطدام ولا مباغتة . وأما اذا كان بسيطا لا يحتمل البسط ولا يقبل التطويل فخير لك أن تغلب حكم الطبيعة على حكم العرف فتتصرف فى التقسيم تصرفاً يلائم الموضوع ويتفق مع الأمكانية ويعصمك من الحشو والتكلف . على هذا الرأى يسير الكتاب اليوم فتجد الروايات تتردد بين فصل واحد وخمسة . على أن الشرط الأساسى هو الدقة فى هذا التقسيم حتى يحسن توزيع العمل ، ويمكن تدرج الجاذبية فى الفصول والمناظر بحيث يكون العمل كالساعة : فالحوار يرصد الثوانى ، والمناظر ترصد الدقائق ، والفصول ترصد الساعات ، لأنك اذا أرحت العمل فى منظرين متعاقبين فترت الحركة وخمد الأثر . اقرأ رواية ترتوف لموليير — وهى منقولة الى العربية — وراقب فيها سير العمل وتدرجه وتقسيمه تجدها فى كل ذلك المثل الأعلى . علام يدور العمل فى هذه القطعة الخالدة ؟ يدور إما على هتك الحجاب عن نفاق ترتوف وخبه ، وإما على استيلائه على بيت أرجون وثروته ، وحرمانه ابنه ، وزواجه من ابنته . فماذا صنع موليير فى الفصل الأول ؟ عرض على أنظارنا صورة المنزل الداخلية ، وأرانا سلطان ترتوف المنافق على أرجون الساذج وأمه العجوز ، وأطلعنا على سوء رأى الباقين من الأسرة فى هذا اللئيم . أعلن كل ذلك فى المنظر الأول فاشتبكت المعركة وابتدأ العمل بقوة . وفى الفصل الثانى حمل أرجون على الأقرار بطاعته العمياء لترتوف ، وترتوف قد قطع ما بينه وبين بنيه وزوجه ، وأفسد ما كان صالحاً من نفسه ، وجعله يعلن أن ترتوف سيكون زوج ابنته ، وابنته تحب ڤالير ، ولكنها لم تجرؤ على عصيانه . ومن ثم نشبت المعركة المضحكة بين العاشقين . وفى الفصل الثالث كاد داميس بن أرجون يفضح أمر ترتوف ، وأوشك العمل أن يشارف الحل لولا براعة المنافق وسذاجة أرجون ، فاستحكمت العقدة وقويت الجاذبية بعزم أرجون على معاقبة بنيه بالخروج عن ماله كله لترتوف . وجاء الفصل الرابع فانكشف سر ترتوف وانجلى أمره لأرجون فهم بطرده ، إلا أنه عارضه بعقد الهبة ، وهدده بوثائق تتهمه وتجرحه ، فاضطرب البيت ونال من أهله الهم والجزع . وفى الفصل الخامس زاد الاضطراب ، واشتد القلق حتى حانت ساعة الانقلاب فعرف

لك خيانة الماكر فقبض عليه وعفا عن أرجون . فأنت ترى أن العمل قسم بدقة ، وأن الجاذبية وزعت بحكمة ، وأن الموضوع كان كافياً لتغذية الفصول فبرئت القطعة من الاستطراد واللغو

الاستراحة :

هي فترة بين فصل وآخر من فصول الرواية يقف أثناءها التمثيل وينقطع انتباه المشاهد ، أما العمل الروائي فلا بد من فرض استمراره خارج المسرح مجاراة للطبيعة والواقع ، ومحافظة على شرط الأمكانية . فهي راحة للمشاهد وضرورة للمسرح ، ولكن الممثل يجب أن يشتغل فيها ، وإن كان في الواقع يستنشى هو أيضاً نسيم الراحة في ظاهر المسرح (الكواليس) . ولا مناص للكاتب من أن يراعي ذلك وهو يُكوِّن هيكل الرواية ويقسم العمل على الفصول . فلا يجوز مثلاً أن يحرك العمل عند ما وقف في الفصل الأول . بل يفرض أن العمل قد قطع في أثناء الاستراحة مرحلة طويلة أو قصيرة على حسب الظروف ، فحكمه في ذلك حكم مهندس البناء يرسم في تخطيطه الأماكن الفارغة والمشغولة ولكل منها نصيب من عنايته وتقديره . وبعد ، فان الاستراحة عظيمة النفع جليلة الخطر . وحسبك أنها أجل مزايا المسرح الحديث ، اهتدى إليها فحقق بها مبدأ الامكانية ، ووثق بها عقدة الجاذبية . أما الأغريق فما كانوا يقفون التمثيل ، وانما كانو يشغلون ما بين الفصول بالقيان (الخورس) وكان يساعدهم على اتباع هذا النظام اشتراط وحدتي الزمان والمكان . فلما تحلل المحدثون من سلطان هاتين الوحدتين وأجازوا لأنفسهم الخروج عن مداها لم يكن بد من هذه الاستراحة يسدون بها خلل التمثيل ، ويتقون بها ملل التطويل ، ويفرقون ما بين الحوادث والواقع . وأظن في هذا الكلام شيئاً من الغموض فاليك توضيحه :

لاشك أن في الطبيعة كثيراً من الأشياء لايمكن أن تمثل على المسرح ، ولا أن تغفل في الرواية ، فاذا أسأنا تمثيلها أضعف الوهم المسرحي ، وإذا أغفلنا ذكرها شوهت العمل الروائي . فلا مخرج لنا إذن من هذه الحيرة إلا الاستراحة ، نفرض حدوثها في خلالها ، ثم نكتفي بعد ذلك بذكرها . كذلك لايخلو العمل المسرحي غالباً من تطويل لازم وتفصيل واجب يملان المشاهد ويُفتِّان في طبعه ، وهو يأبى إلا أن يظل مشغول القلب متمتع الحواس بتأثير لذيذ قوي ، فنستطيع إذن أن نوفق بين شعور المشاهد وحقيقة الواقع ، بأن نعْرض على المسرح ما يلذ ويؤثر ، ونبقي للأستراحة ما يمل وينفر .

بقي أن الكاتب بفضل الاستراحة يستطيع أن يحقق مبدأ الأمكانية الزمنية بفرضه حدوث أشياء لو مثلت على حقيقتها لاقتضت من الزمن مالا تتسع له مدة التمثيل

المناظر : المناظر هي أجزاء الفصل المختلفة كما علمت ، وتحدد بدخول شخص أوخروجه ، وليس لها عدد معين . ولكن لها قاعدة عامة ، وهي ألا يبقى المسرح خالياً من ممثل حرصاً على الوهم واستبقاء للخديعة واستدامة للأثر . فاذا اضطر الممثلون جميعاً إلى تركه ليخلفهم عليه آخرون ، وجب إما أن يوجهوا الخطاب إليهم ، وإما أن يعلنوا دخولهم عليهم ، حتى لايدخل المسرح أحد أو يخرج منه دون أن يُعلن المشاهدون بسبب دخوله ، أو يكونوا قد علموه من قبل حصوله . أما أن يخرج ممثلو المنظر السابق ويدخل ممثلو اللاحق من غير مخالسة النظر ولا مبادلة الكلام فذلك اخلال بشرط الامكانية

الأشخاص : يشترط في أشخاص الرواية أن تكون صفاتهم وعاداتهم (محلية) تلائم الزمان والمكان اللذين يعيشون فيها ، (مناسبة) تتفق مع عمرهم وجنسهم وطبقتهم ، (ممكنة) لاتناقض التاريخ ولا التقاليد ولا الأساطير ، (ثابتة) تلازم الشخص من بدء العمل الى انتهائه ، (متنوعة) لاتتشابه في شخصين ، بل يختلف كل شخص عن الآخر في صفته وعادته ، جارية مع العرف ، فلا تكون شاذة ولا غريبة كوصف اللص بالكرامة ، وقاطع الطريق بالشهامة ، والسفاح بالنبل . وتلك نقيصة من نقائص المسرح الحديث.

أداء العمل

يحدث العمل في نفس الممثل فيؤديه بالعبارة مستعيناً بالاشارة . والعبارة تكون حواراً وقد تكون نجوى نفس . وبحث هذه الكلمات الأربع يحتاج الى شيء غير قليل من الأناة والعناية

العبارة : الأسلوب الروائي هو أسلوب الحديث النبيل المونق . فشرطه أن يكون طبيعياً لاتفسده الصناعة والتعمل ، حيا لاتخمده الغثاثة والتبذل ، بسيطاً لاتعقده الروية والتأمل ، ملائماً تتناسب لهجته مع نشأة المتكلم وتربيته وطبيعته وعادته وموقفه . ولن يتسنى

للكاتب أن يحقق هذه الشروط إلا اذا نسى نفسه وفنى فى أشخاصه ، فيطرح المقاطع الوجدانية والمحسنات البديعية والتشابيه الغريبة من كل ما ينم على الدرس والبحث والتحذلق . اللهم إلا المأساة بنوعيها فانها تقتضى الأسلوب الرائع ، واللفظ المختار ، واللهجة المؤثرة ، لعلاقتها بالوجدان وصلتها بالعواطف . والبيان كان وما زال شرك العقول وسحر القلوب . وأكثر المآسى لم يضمن لها الخلود إلا روعة الأسلوب وبلاغة الأداء . ولقد أخطأ بعض الروائيين القصد فغلّبوا جانب الحركات والاشارة ، على جانب الكلمات والعبارة ، فوجهوا التأثير للعيون لا للقلوب ، وهيأوا الرواية للتمثيل لا للقراءة . وفاتهم أن العمل المسرحى مؤلف من الكلام والحركات . فلا الممثل متكلم لا غير كالمحدث ، ولا هو متحرك لا غير كالخيال الشمسى ، وانما الكمال أن يُعنى بالطريقين جميعاً ، فما كان من العمل قويا ماديا عاميا أدته الحركة ، وما كان منه جليلاً دقيقاً عميقاً كآثار العادات وصور الأخلاق وتباين العواطف وتضارب الأهواء وتعارض المنافع شرحته العبارة . فظواهر الغيرة والاشمئزاز والغضب تستطيع الحركات والملامح أن تؤديها واضحة جلية ، ولكن تحليل القلب البشرى وهو سر الجمال فى أدوار ديدون[1] واريان وفدر وهرميون لا يضطلع به إلا البيان المعجز . وهل يعلق بذهنك من القطعة الفنية بعد تمثيلها غير مواقفها الشعرية القوية التى أوحاها اليراع فانتقشت فى لوحة ذهنك ؟

إن العمل الروائى يتجه الى العين أو الى القلب تبعاً لطبيعته وملاءمته للبلاغة أو للتصوير ، ولكن الأثر الذى يحدثه فى النفس عن طريق الأذن أهدأ وأبطأ ولكنه أبقى وأعمق ، أما ما يحدثه فيها عن طريق العين فهو قوى فجائى سريع ، ولكنه قريب الغور قليل البقاء ، لأن الأذن إنما تنقل الفكرة وهى نامية ولود ، والعين انما تنقل الاحساسة وهى جدباء عقيم . ذلك الى أن القطعة اذا قامت على البلاغة فهى التى تخلق الممثل وتدفعه وترفعه ، أما اذا قامت على الحركات فحياتها ومماتها رهن بقوة المسرح وقدرة الممثل . ولك فيما تشهده على المسارح المصرية من روائع الفن الغربية دليل قائم على صحة ما نذهب اليه ، فان بعض المتعسفين من أدعياء الكتابة ينقلونها نقلاً لفظيا ، فيهدمون فيها ركن البلاغة وهو عمادها الأقوى ، فتثير الضحك وهى فاجعة ، وتستوجب الهزء وهى رائعة ! !

ولا يقعن فى بالك أنا نريد أن نضع من قدر الحركات أو ننكر أثرها فى الفن ، فان ذلك ليس فى حسابنا ولا هو مفهوم من كلامنا ، وإنما نريد أن يوفى الكلام حقه من العناية أيضاً حتى تقوم الرواية على قدميها فلا تسير عرجاء ولا شوهاء .

بقى علينا أن نعرض لمسألة دقيقة خلقتها فوضى الأدب فى مصر ، ودعوى كل أديب حق التشريع لهذه اللغة الأسيفة ، وانصراف القادرين من الكتاب عن الأدب المسرحى انصرافهم عن كل جليل مثمر . تلك هى لغة الرواية ! فقد زعم بعض الكاتبين أن لغة المسرح المصرى يجب أن تكون العامية تثبيتاً للون المحلى وتحقيقاً لشرط الأمكانية . وكل ما يمكن أن يقولوه تأييداً لمذهبهم إن العامية لغة الأشخاص التى سايرتهم فى كل سن ، ولابستهم فى كل ظرف ، فعبرت عن خلجات نفوسهم ونبضات قلوبهم ، وأنها حملت خلاصة تجاربهم وثمرات قرائحهم من لطيف الكنايات وبديع الأمثال وبليغ الحكم ، وانها مرآة لبيئتهم انعكست عليها صور حياتهم ومظاهر معيشتهم ، وانها أكمل دلالة وأسهل إبانة عن التصورات الجديدة التى تخرج من أعماق النفس أو تدخل فى ثنايا الحوار . ذلك كلام وجيه لا غبار عليه ولا نكير فيه ، ومايسوغ فى رأينا أن ننقضه وقد قررناه من قبل . ولكن ليقولوا لنا متى طبق قانون الامكانية بنصه على اللغة والأسلوب ؟ إن الناس فى كل زمان وفى كل مكان لا يتكلمون فى الواقع كما يجعلونهم يتكلمون على المسرح . وهذه جميع المآسى ومعظم الملاهى قديمها وحديثها مكتوبة بالشعر الرصين ، ذى اللفظ المنضد والأسلوب الفخم ، فهل يزعمون أن أشخاصها كانوا فى الحقيقة يتحاورون بالشعر ويتجادلون بالمجاز ؟ أم يزعمون أن لغة راسين وشكسبير وهوجو وجوت وهى نموذج البلاغة للكتاب ، وموضوع الدراسة للشباب ، كانت لغة الشعب الذى كانوا يمثلونه أو يمثلون له ؟ واذا جاز لهم أن يجعلوا الفرنسيين والانجليز يتكلمون على المسرح المصرى بلسان عربى ، فلم لا يجوز لنا كذلك أن نجعل خاصة المصريين بل عامتهم أيضاً يتكلمون بلهجة عربية فصحى ، وهى أقرب الى هؤلاء منها الى أولئك ؟ ليفرضوا أن العامية لغة أجنبية ننقلها الى لغتنا العربية ، وليغضوا على تلك القذاة الضئيلة ابتغاء رقى اللغة ونهضة الأدب وتعليم الشعب . إن الفن الحقيقى أبدى خالد ، ومن المحال أن تخلده لغة جيل واحد ، ولهجة قطر واحد ، لأن العامية تتغير من جيل الى جيل ، وتختلف فى قطر عنها فى قطر .

ونحن لا نريد أدباً مصرياً فحسب ، وإنما نريد أدباً عربياً يمثل حضارة مصر وثقافة المصريين ، وينقلهما الى الأقطار النائية ، والأجيال الآتية

على أن أحداً من الناس لم يقل بأن المسرح لا بد أن يعرض الحقيقة جرداء عارية ، بل المعروف أن من واجبه أن يحسنها بالخيال ويزينها بالكذب ، وفى ذلك التحسين والتزيين سحره وجاذبيته ، والشاهد ذاهب اليه وفى نفسه أنه سيخدع ، وهو راض بهذه الخديعة ما دام فيها لذته وفائدته ، ومن قواعد المسرح أن الصدق يتوخى فيما يؤثر فى الذهن والنفس من الأفكار والعواطف ، أما ما يؤثر فى السمع والبصر فلا بأس فيه من الكذب ؛ فشكل الأسلوب من النظم والنثر والعامى والفصيح كشكل المسرح من المناظر والستائر والأضواء والأصباغ ، تعرف الآذان والعيون أنه صناعى مختلق ، ولكن الأذهان والنفوس لا بد أن تتأثر لما يقع فى الامكان من المواقف والعواطف والأخلاق والعادات

إن المسرح مهبط البيان ومورد البلاغة وطريق النفوس الى الجمال والخير والحق ، فليس من غايته التأثير واللهو ، وإنما يعمد اليهما تخفيفاً لثقل الحكمة عن النفوس كما يساغ الدواء الشديد المرارة بالسكر أو العسل . فاذا لم يخرج المشاهد من المسرح وهو أوفر علماً وأرجح حلماً وأحسن حالاً من قبل أن يدخل فقد أخطأ المسرح غرضه وضل طريقه . ولعمرى كيف يستطيع أن يرفع النفوس فى مراقى الكمال ، اذا لم يترفع هو عن حقارة الحياة العامية ، ويصور للناس المثل العليا من الجمال والفضيلة فيرتفع الشعب إلى سمائه ، بدل أن يسف هو إلى حضيضه ودهمائه ؟ وناشدتك الله من احتجاجك على بنجاح الرواية الفلانية وهى مكتوبة باللغة العامية ، فان نجاح الرواية لا يقدر بما تستدره من المال والدموع ، وإنما تقدر بما يبقى فى نفسك منها بعد أن يسكن الممثل وينسدل الستار .

أن الضوء الباهر يبقى أثره فى العين ملياً بعد اختفائه ، والنغم الجميل يرن صداه فى الأذن طويلاً بعد فنائه ، وكذلك الفن الساحر يستولى على نفسك وحسك حيناً بعد انتهائه . فهل تجد الأمر فى هذه الروايات كذلك ؟ أم الحقيقة المخجلة أن أكثر هذه القطع تسود فى ليلتين وتمثل فى ليلة ، ثم تذرو أوراقها عواصف البلى والعدم ؟ !

يتبع **(الزيات)**

مثل اوربى لعرفانه الجميل !

منزلى هو منزلك !

« قصة مقتبسة عن (F. Duviard) تمثل آراء هؤلاء الأوربيين الذين يعيشون بيننا ، ويأكلون خبزنا ثم يجزوننا عن الكرم لؤماً وعن المعروف نكراناً »

— الشرق . آه على الشرق !

همست الفتاة بهذه الكلمات ، وقد رأت رودلف ڤالنتينو فى رواية الشيخ .

وكان بير ازناى المدرس فى تجهيز ڤالاندر قد طوحت به الحاجة مرة الى مصر فكان معلماً فى المدرسة العلمانية الفرنسية فى (النزهة ؟) ولبث فيها عشر سنين . ثم عاد الى فرنسا منذ عشرة أشهر ، وليس فى جيبه شروى نقير ، ولم يربح إلا حكايات وتجارب حملها معه من الشرق ، فلما سمع مقالة الفتاة اغتنم الفرصة فقال :

***

— الشرق يا سيدتى ؟ هل تحبين أن أقص عليك حادثة وقعت لى فيه ، إنها مأساة هازلة عن الصداقة العربية . كان فى مدرستى الفرنسية عشرون معلماً أوربياً ومعلم واحد عربى ، عربى قح ، ذو وجه أسمر مستطيل ، يلبس القفطان والجبة الواسعة ، ويبدلهما كل يوم بلون جديد . وهو مدرس للغة القرآن — الأجبارية فى مصر — ومعرض دوما لاحتقار الأساتذة الأوربيين الذين يرون أنفسهم أرفع منه ، فلا يتنزلون لمصاحبته .

أما أنا فكنت أحييه التحية المعتادة لا أبالى بسخط زملائى ودهشتهم ، ولا بدهشته هو المسكين الذى ما كان يجرؤ على رد تحيتى إلا بابتسامة عريضة ، ونظرات ملؤها العطف والاحترام ، ولا تمتد صحبتنا الى أكثر من هذا ، لأنه لا يعرف كلمة من الفرنسية ، ولأننى أجهل العربية الا المائة كلمة التى لابد منها للسير فى الشارع مثل Andak huna arbagui عندك هنا عربجى و Esma fène chareh Fouad اسمع فين شارع فؤاد .

ثم شاء القدر أن نلتقى مرة فى شارع فؤاد صباح يوم من ديسمبر حار ملتهب كأنه الظهيرة من أغسطس فى فرنسا ، وكان

معه ابن عم له أقل عروبة منه ، له المام بالانكليزية ، إلا أننا لم نكن نتفاهم إلا بصعوبة ، وكان علينا أن نفترق ، ولكنّ رغبتي في تعرف الحياة الشرقية وضجري من الوحدة أبقياني معهما . والفضل في بقائي لابن عمه هذا . . ولّغة الانكليزية (وأي انكليزية ؟.) ولم تكن إلا أيام حتى كنا أصدقاء .

* * *

كان طيب القلب ، بسيطاً محبباً ، ولكنّ فيه شيئاً من العنجهية والجفاء ، وكنا نذهب كل خميس وكل أحد الى النزهة جميعاً : أنا وهو وابن عمه ، فنزور معاهد النزهة ومتاحفها في عربة أو سيراً على الأقدام .

وكان ابن العم كثيراً مايتخلف عن الموعد ، هرباً من مهمته الشاقة في الترجمة بيننا ، فنبقى وحيدين ، وتصوري موقفنا إذن ! نسير جنباً الى جنب ونحن ساكتان ، نتبادل النظرات في ابتسامة ساخرة حزينة ! ونسلم على المارة ، وكنت قد تعلمت التحية العربية ، وهي الأشارة باليد الى الجبهة والشفة والصدر ، رمزاً الى أن الصداقة تشغل العقل بالتفكير ، واللسان بالنطق ، والقلب بالعاطفة . وكان صاحبي يتعلم الفرنسية ، ولكنه كان يحفظ مقطعاً واحداً في كل ساعة بعد أن أردده عليه مرات ويعيده علي محرفاً ، فأشكره بابتسامة .

وكنا إذا بلغنا مسجداً ودخل هو وقفت أنا على الباب أستشعر الزهو بأنني رومي لا كالأروام ، وأنني صديق الشيخ ، وأنني تشرفت بالوقوف في عتبة قبور الصالحين .

* * *

وكان مساء السبت ، وكنت في المدرسة ، فدنا مني أحد الطلاب وأعطاني رسالة من الشيخ ، مكتوبة بالفرنسية باللغة التي يحسنها طالب صغير ، ففتحتها فاذا فيها :

« ياصديقي الغربي العالم الفاضل ، تفضل بالمجيء غداً الى داري الحقيرة ، لنتناول الغداء معاً . واعلم أن منزلي هو منزلك . . . »

منزله منزلي ! ولكن من الظهر الى الساعة الرابعة ، وطعامه طعامي ، وكنت واأسفاه مضطراً إلى الاجابة ، لأن أي رفض مني يكسر هذا القلب الطيب ، ولا أنسى ماحييت تلك الأكلة المنحوسة وهي التي يسمونها (الملوخية) ، ولا أنسى كيف يأكلون من غير صحاف ولا شوكات ، إنما يغمسون خبزهم جميعاً في صحفة واحدة ، وكان علي أن آكل بأصابعي هذه الدجاجات المحمرة التي أكرمني بها ، وجعل نصيبي منها اثنتين ، وقد ذهبت من الدعوة رأساً الى الفراش ، فلبثت ثلاثة أيام مريضاً !

ورأيت في هذه الزيارة عقيلة الشيخ سافرة ، لأن المعلم كالقس ليس كالرجال ، ولا ضرورة للتحجب دونه (هكذا . . .)

* * *

وتوثقت صداقتي مع الشيخ ، فعرفني بالقاهرة وحياتها ، ولم يكن غنياً ، غير أنه لم يمكني من فتح كيسي مرة واحدة حينما أكون معه ، بل يكون السابق الى دفع الحساب المطلوب ، كنا نزور الأهرام ، ونجول في القاهرة وهي أشبه بعشرين مدينة مجتمعة منها بمدينة واحدة ، بل هي عالم لا بد لرؤيته من ثلاثة أشهر . أما أنا فقد لبثت فيها مع الشيخ مدة قصيرة ، ولن أنسى ذكراها لا أنسى وقوف القطار بنا يوماً في المحطة ، ورؤيتنا قريب الشيخ ينتظرنا ومعه البلح والبرتقال والموز المصري الصغير وغير ذلك مما لا أدري من أين أتى به ، وما كنا نتحدث إلا بالأبتسامات والجمل المقطعة والأشارات ، كأن صداقتنا صداقة صامتة تتكلم فيها القلوب لا الألسنة ، ولما اعتزمت العودة الى فرنسا ، في منتصف تموز ، ودعني على المحطة وألقى عليّ نظرة كلها حب وعطف ، وقال لي : إلى الملتقى ! ولا تنس أن منزلي هو منزلك . ثم اختفى بين الجموع وأنساني البحر الواسع ، وشواطيء الوطن المحبوب كل ما عداهما .

فقالت الفتاة :

— أهذا هو الشرق ؟ ياضياع أحلامي !

فهز الأستاذ كتفيه ، وعاد يقول بصوت خافت : وبعد أمد من رجوعي عينت مدرساً في مدرسة ماجيدي الثانوية في الألب ، فلبثت فيها مدة ، وتزوجت فيها ، وكنت جد مشغول بأمور المدرسة ، حتى أنه لم يكن في وقتي ساعة واحدة خالية ، وإذا أنا ذات يوم أفاجأ بكتاب عليه خط رديء ، وطابع من طوابع (النزهة) ! ففتحته فاذا هو من الشيخ ، وإذا هو يخبرني بمجيئه مع

امرأته وولديه ليقضي عندنا عدة أشهر ، كأنما جاء يتقاضانى بدل ما أحسن الى ، وتصوروا وقع هذه المفاجأة على امرأتى التى أغمى عليها من شدة الدهشة ، ولم أر بدًّا من الأنغاس فى هذه المهزلة ، ولا سيما وأنهم أبحروا دون انتظار جوابى .

نزلت الى مرسيليا أنتظرهم ، فوجدت شيخاً غريباً فى سراويل مهدلة وطربوش ، ومعه امرأة ضخمة ، على رأسها منديل أسود والى جانبها بنت صغيرة . واتفق أن تفتحت أبواب السماء يومئذ فهطل المطر غزيراً ، حتى شعرنا أن السماء قد هبطت على الأرض فدخلنا مقهى قريباً ، ولكن البنت ارتاعت منه ، فملأت الدنيا بكاء ولم تشأ السكوت ، وأخيراً أزفت ساعة القطار فركبناه الى ماجيدى ، والناس يرمقوننى يحسبون أنى أنقل الى البلد (سركاً) غريباً . وبلغنا المنزل ، فكان استقبال زوجتى بارداً ، وجاءت ساعة الطعام ، فلم تألف أيديهم الأكل بالشوكات والصحاف ، وانتشروا بعد الطعام فى قاعة الأكل وفى الغرف المجاورة ، وبكى الطفل بكاء شديداً ، فبكت زوجتى أيضاً ، ووقعت أنا فى حيرة بينهما ، فلعنت الشرق ومن شاد بذكره .

***

ولما كانت صبيحة الغد سمعت وأنا نائم أصواتاً غريبة تمتزج بأحلامى ، فصحوت فاذا بزوجتى ترقص أمام السرير ، وتغنى وتصيح : لقد سافروا يابيير ، لقد سافروا ! . .

ونظرت فاذا الشيخ قد ترك لى بطاقة صغيرة ، فيها جملة واحدة عربية ، حملتها الى من يترجمها لى ، فاذا فيها : — وداعاً ! لقد علمت الآن أن منزلك ليس منزلى .

دمشق : (زو الطابر)

ناحية خفية من نواحى السودان

القـــعب

مصحة ومصيف جميل

بقلم أبو القاسم محمد بدرى

القعب واحة مشرقة بين صحراء محرقة ، يشتد بها الحر ويعنف فيها القر ، تكاد تصعب فيها السكنى وتستحيل الأقامة ، لولا أن الله وهب لها تلك الواحة البهيجة ، والروضة النضرة ، فتوقت إليها السكنى وطيبت بها الاقامة وحببت فيها الحياة .

ليس القعب واحداً فى عدّه ، ولاشاسعاً فى بعده ، فهو عدة واحات متقاربة الأطراف مختلفة الأسماء ، متحدة المنفعة والدواء ، سُميت بالقعب فى مجموعها ، ولكن لكل قعب منها اسم خاص به ، كقعب اللقية وهو أشهره ، والسوانى ، وأبو نمل ، وما إليها ، مما يبلغ العشرة أو ينيف عدّاً .

يشغل القعب جزءاً كبيراً فى الجزء الغربى من مديرية دنقلا ، ويبعد عن النيل بضع ساعات ، ويسافر اليه بالمطايا نظراً لقلة السيارات فى هذه المديرية ، ولكنها ستعم فى المستقبل القريب كل أنحائها ولاسيما بعد أن انتظم طريق المواصلات بالسيارات بين مديريتى دنقلا وحلفا . ولايفوتنا أن مشقة السفر هذه لاتمنع الوصول اليه على متون الابل بأجرة زهيدة وزمن وجيز ، وخصوصاً إذا توجه المسافر اليه من مدينتى دنقلا وأرجو ، أو من احدى القرى المنتثرة بينهما على طول الطريق ، ويبتدىء موسمه عادة فى آخر فصل الصيف فى الزمن الذى يقرب أو يتم فيه نضج البلح الذى له — على مازعم البعض — أثر كبير فى الشفاء وصحة البدن ، ويصنع منه شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ، منـــه ماهو سائغ الطعم لونه أصفر مشرب بحمرة ، حلو لذيذ لايسكر ، يسمى « الشربوت » ومنه ماهو مُر المذاق حائل اللون يسكر فى الغالب ، ويطلق عليه « الدكاى » وكلا النوعين مفيد للصحة ، مجدد للنشاط ، مقو للبدن .

والقعب بلدة طيبة المناخ غنية المرعى خصبة الثرى وافرة النعيم ،

يؤمها البدو صيفاً ويرحلون عنها شتاء ينتجعون الكلأ والماء، ويطلبون الغنى والثراء من أكف المرضى وأيدى السائحين الذين يفدون الى القعب زرافات ووحداناً من أقصى جهات السودان وبعض البلدان الأخرى. يقاضونهم أجراً على عملهم ومسكنهم، ويمنحونهم فيضاً من نعمهم وفضلهم، على أن هاته الأجور وتلك المنح لا يأخذونها من جراء الكراء وتملق النزلاء وحب الاستجداء، كلا، ففطرة البدوى الصميم تأبى عليه أن يتطلب الغنى والجاه من سبل كهذه، لولا أن حاجات العيش الملحة ومطالبه الكثيرة ترغمه على أن يتقبلها كارها طائعاً إذ لا سبيل لعيشه بدونها؛ وهو لسمو نفسه وكرم محتده لا يقبلها إلا بعد أن يرهق بدنه فى هناء ضيفه وخدمة نزيله لما رُكّبَ فيه من طباع الكرم والنجدة والمروءة، وبعد أن يقدم له قرى فاخراً وهدايا جميلة من حمر النعم، وطيب الغنم، ومشتهى الأزاذ، وهى كل ما تصل اليه يد ذلك البائس الكريم، والبدوى الى ذلك لطيف المعشر بسام الثغر، سريع البدار الى لقاء الزوار، يستقبلهم بطلاقة ويحييهم ببشر، ويستدرهم بكرم غيب وطيب ذكر، تلمح فى وجهه سمات السذاجة المشوبة بالجهل، وآيات الوداعة الممزوجة بالأنفة والاخلاص مع بساطة عيش وهدوء نفس، وصبر جميل على معاناة النوائب والشدائد.

وهؤلاء البدو لا يختلفون — عادة — عن باقى العرب فى أساليب العيش والسكنى وطرق التفكير والتدبير فى شئون الحياة، فعيشهم تغلب عليه البساطة، يعتمدون فى غذائهم على الألبان واللحوم وبعض التمر والحبوب، أما مسكنهم فحقير متواضع، مصنوع من القش والوبر وخشب النخيل، إلا أنه مع تواضعه وحقارته نظيف الحجرات بارد الظل والنسيم، بديع الشكل. ويعتمد البدو كثيراً فى جلب قوتهم على الاحتطاب، وهو أهم موارد رزقهم لفقر بلادهم المجدبة التى لا تصلح أن تكون إقليماً زراعياً مع خصوبتها لندرة الأمطار وصعوبة الرى.

وأرض القعب رملية ناصعة تصعد طوراً حتى تكون نجداً، وتهبط آخر حتى تنحدر الى وهد أو سهل فسيح تنتشر فيه هنا وهناك كثبان الرمل المتقاودة، وقد قامت فوقها أشجار النخيل الباسقة حانية أغصانها الخضراء المورقة فوق سفح الوادى وحول حافة الينبوع، ومن بينها تتدلى أقناء البلح موشاة بصفرة الذهب وحمرة العقيق، فيتكون من ذلك منظر طبيعى جميل تتجلى فيه الطبيعة بأجلى معانيها وأروع صورها الفاتنة الساحرة. هناك تحت ظلال النخيل وفوق الرمال وحوالى الينبوع، حيث تخلد النفس الى الراحة وتنعم بالهناء والصفاء، تحسن النية وتطيب المسرة ويلذ الأنس، بل هنالك وحده يصفو العيش، وتسعد الحياة ويحلو المقام..

وكأنى بك وقد جلست عند الأصيل فوق ربوة عالية تسرح الناظر وتمتع الخاطر بمشهد الغزالة عند الغروب، وهى تستل أشعتها الشاحبة من أحضان الوادى الكئيب بعد أن زفت اليه تحية الوداع، وبعد ما ألقت عليه نظرة ساجية تفيض بالألم الممض والحزن العميق. أو نهضت من فراشك مبكراً فألفيت الشمس تهبط من خدرها باسمة مشرقة تشيع الحرارة وتنشر الضياء، وتبعث الحياة فى جوف ذلك المهمه القفر، وبين جوانب الطبيعة الصامتة، فيستيقظ الطير من سباته الطويل ويصدح بأغاريد الصباح بنغمة سحرية أخاذة وصوت عذب حنون. وهنالك حول الينبوع النمير وبين مدارج السبل ترى فتيات البدو السذج فى ثياب فضفاضة وقد بدون سافرات الوجه فى صورة مليحة تسحر اللب وتستهوى القلب، لم تعبث بها يد الحضارة الفاسدة، ولما تنل منها مظاهر التجمل الخادع والتكلف المزرى الشائن، خرجن يردن الماء وبأيديهن الجرار وهن ينشدن نشيداً بدوياً ساذجاً فى لفظه حلواً فى معناه، فتمتزج تلك الأغاريد العذبة بهاته الأناشيد السحرية فتتولد منها نغمة قوية مشجية هى كل ما فى تلك الطبيعة الجافة الغليظة من موسيقى رائعـة، وصوت رخيم. فى السماء، وما أسعد سويعات المساء فى ليالى القمر البيضاء، إنها والله داعية أنس ومسرح لبانة، ومذاد همّ، ومعهد سرور. وما أجمل تلك السويعات التى تنفقها فى السمر مع بدوى ساذج وديع، يجلس معك ويسمع منك، ويتحدث اليك بأحاديث ممتعة خالية من الحقد والحسد والنميمة. أو تلك التى ترتاد فيها مواطن الرقص فى سبيل لذة بريئة، ووراء متعة طاهرة، حيث ترى الفتيان يصفقون والفتيات يغردن، والكل يقف فى حركة مستديرة ومن بينهم الراقصة النحريرة، ترقص على توقيع الدف ونغمات العزف، وتتمايل فى حركات ريفية واهتزازات بدوية تستلهمها من فن الطبيعة، وتستوحيها من جمال الطبيعة، ولكنها مع سذاجتها

وبساطتها بديعة، لأنها صدرت عنها عفو الخاطر، وبدرت منها دون تكلف فى الظاهر، وقد يستمر هذا الأنس حتى مغيب القمر ومطلع السحر، وفى النهار تشغل الوقت فى عملية الدفن، وماذا عسى أن تكون عملية الدفن هذه ؟. وهل هى نوع من أنواع التسلية أو وسيلة من وسائل المعالجة، أو ضرب من ضروب الرياضة ؟. وهل اتخذت المعالجة بالقبر طريقة للحياة ؟ وليس بعجيب أن تنشأ من القبر الحياة كما قد يطغى على الحياة القبر .

إن عملية الدفن هذه ضرورية للقعب ضرورة « الحمام » للمصيف و« الدفء » للمشتى . ولا أعدو الحقيقة إن قلت إن أثرها فى جلب المنفعة ودفع الداء أبعد من ذلك وأسمى : فهى بمثابة العلاج الناجع والدواء الوحيد لشتى الأمراض التى استعصى علاجها بالعقاقير والأدوية المختلفة . وكم من مريض لصب جلده من الهزال، وارتهكت مفاصله من الأعياء، وطحطته العلل والسقام، وكان إلى الموت أقرب منه إلى الحياة، جاء إلى القعب ومكث به قليلاً فاستحال هزاله سمناً وضعفه قوة، وتجددت فيه قوى الحياة المضمحلة، وانتعش فيه روح الأمل البائد . وأنواع الأدواء التى يمكن علاجها فى القعب عديدة، منها ماهو عضال يصعب علاجه، وما هو وسط يخشى استفحاله، وما هو يسير يسهل استئصاله . وهى فى الغالب كل أنواع الأمراض العصبية والروماتزم « داء المفاصل » وبعض العلل الباطنية المزمنة، والشلل بنوعيه الجزئى والعام . . . ألخ . ومهما يكن من شىء، فعلاجها أمر موكول إلى التجربة والاستقصاء أكثر منه إلى شىء آخر . على أنه قد يشفى منها الكثيرون بعد ما يقطع الأمل فى شفائهم . ولا يزال الأطباء فى حيرة من أمر القعب لم يهتدوا حتى الآن إلى معرفة حقيقته معرفة تامة تستند إلى البحث العلمى الصحيح، وقد اكتفوا من ذلك بالاشارة إلى جودة هوائه وصحو سمائه، وأثرها الحسن فى نفوس المرضى، وإسداء النصح لمن يستشيرهم فى الذهاب إليه من ذوى العاهات والأمراض . وللناس أقوال متضاربة وإشاعات عديدة يتناقلونها ويروونها عن القعب . فمنهم من يذهب فى القول إلى أن مصدر قوته السحرية هذه إنما هى عذوبة الماء، وزعم أناس أنها جودة الهواء، ويجزم فريق آخر أنها أكل الأزاد والشواء . وعلى كل حال فحقيقة القعب لاتزال غامضة حتى يستجليها البحث والاستقصاء، ويتولى ذلك نخبة من شبيبتنا المثقفة تحت إشراف الحكومة وبتعضيد الشعب .

وبالمناسبة ألفت نظر الجميع إلى وجوب العناية والاهتمام بشأن القعب، وذلك طبعاً بتوفير كل معدات الراحة والرفاهية، وتشييد المساكن الفخمة، وتنظيم طرق المواصلات حتى يسهل السفر إليه والأقامة فيه، فيكثر بذلك عدد المصطافين والمرضى، وحينئذ نحصل على مورد لابأس به من موارد الرزق نصلح به أحوال البلاد خصوصاً هذه المديرية البائسة فى مثل هذه الأزمة الطاحنة

ولعلك تشتاق إلى معرفة طريقة الدفن، ولشرحها نقول فى إيجاز : تشق الأرض على شكل أخدود أوحفرة أو قبر أو كما شئت فسمّه، ثم ينصب حول هذا القبر المزعوم سياج من أعواد النخيل يسقف ويغطى من الجوانب بأغطية كثيفة تحجب أشعة الشمس عنه، ويكون فى شكله أشبه شىء بالتابوت، ويترك حتى يبرد أديمه، ثم يؤتى بالشخص المراد دفنه، وبعد أن يجرد من جميع ثيابه يضطجع ويهال عليه التراب ويدفن كل جسده ما عدا رأسه ووجهه، ويستمر على هذه الحال بضع دقائق يضيق خلالها نفسه، وتسرى فى جسمه حرارة خفيفة فى بدء الأمر تأخذ فى الاشتداد كلما طال مكثه، ويشرع فى إخراجه متى بدت عليه مظاهر التعب والضيق . والمدة المحددة لدفنه تستغرق مابين عشر دقائق وخمس عشرة دقيقة . وبعد خروجه من ذلك القبر يكون مغبر الصورة معفر الوجه والبدن ملبداً بالتراب الممزوج بالعرق فى شكل يثير منك الضحك والعجب وبعد الانتهاء من الحمام يشعر بخفة فى بدنه وسرور يغشى نفسه، ويلتهم بعد ذلك طعامه بشهية ونهم عجيبين، وتكرر هذه العملية مرة أو مرتين فى اليوم على حسب استطاعة المرء ورغبته، وهى تفيد — على الوجه الأصح — جميع الأمراض العصبية والروماتزم والفالج، ولعل مفعول هذه الحرارة المكتسبة من الدفن يقرب فى الغالب — على ما أظن — من مفعول الحمام الشمسى فى معالجة هذه الأمراض . ويبتدىء زمنه المناسب من الساعة الثامنة صباحاً والساعة الخامسة فى المساء فى الزمن الذى تلائم فيه الحرارة الجسم . والدفن كما ذكرنا ضرورى للمرضى . أما ماعداهم فعلى سبيل التسلية والرياضة، ومع ذلك فمنفعته لايستهان بها فى الفتك بالأمراض عند بدئها وإزالة الضعف والنحافة وتقوية العضلات والبدن ؟

كلية غردون (سودان) — أبو القاسم محمد بدرى

١ – مصطفى كمال

سيرة حياته

للكاتب الانجليزى ارمسترونج

تلخيص وتعليق حنفى غالى

هنالك فى الحى العثمانى بسالونيك فى بيت حقير متهدم ، قائم فوق أحد التلال فى ظل حصن عتيق ، رأى الطفل مصطفى نور الحياة عام ١٨٨١ ، فى عصر كانت الأمبراطورية العثمانية تعالج سكرات الموت من جراثيم الأمراض الخلقية والاجتماعية التى تنخر فيها ، وتكاد تلفظ النفس الأخير ، لولا أن قضت السياسة الأوربية فى ذلك الحين أن يبقى « الرجل المريض » ليذود الدب الروسى عن حياته ، ويحول دون امتداد طغيانه حتى يوافيه أجله المحتوم . فكأن العناية الالهية قد أرسلت الطفل العظيم فى هذا العصر لتبصره بموطن الداء ، وتهيئه لتأدية رسالته لانقاذ أمته .

كان أبوه على ريزا رجلاً مغموراً نزح من ألبانيا إلى سالونيك طلباً للعيش وسعياً وراء القوت ، فابتسم له الأمل فيها نوعاما ، واشتغل كاتباً بادارة الدين العثمانى ، ولم يكن مرتبه الضئيل ليقوم بمطالب أسرته ، فزاول تجارة تعينه على الحياة .

أما أمه زبيدة فكانت كسائر النساء العثمانيات ، قعيدة البيت لا ترى نور الشمس إلا من كوته ، ولا تغادره إلا فى رفقة أحد محارمها لتعود ذويها أو جيرانها الأقربين ، فظلت فى ظلام دامس من الجهل بشئون العالم الخارجى لا تلم حتى بمبادىء القراءة والكتابة ، ولكنها كانت ربة أسرة بحق تعرف كيف تدبر أمورها بحزم ، وتسوسها بنظر بعيد ، فى مزاجها شىء من الحدة ، وفى محياها سيماء النبل والسيادة . يمتزج فى عروقها الدم الألبانى بالدم المقدونى ، وكانت أقرب الى الرجولة فى بنيانها ، مديدة القامة ، قوية الصحة ، وقد آثرت الحياة بجوار الريف الذى أحبته ونشأت فى أحضانه ، فظل لها خلق أهله من إيمان عميق ووطنية صادقة ، واستمساك بالقديم ، وعقل رجيح صائب الحكم فى مسائل الحياة الأولية ، وكانت ككل امرأة عثمانية تهب نفسها ، وتصفى ودها لزوجها وأطفالها الثلاثة الذين توفى أحدهم فى طفولته ، ولم يبق سوى مصطفى وأخته مكبولا .

كان مصطفى هزيلاً نحيلاً ، وكان طفلاً فى سنه ، كهلاً فى خلقه . فلست ترى فيه جذل الأطفال ومرحهم . بل وقار الرجل ورزانتهم ، وكان عصى النفس عسير القياد ، كثير التمرد على أوامر والدته ، فاذا همت بتأديبه ثار واهتاج ، وكان قليل المخالطة للداته من الأطفال مستقلا بنفسه عنهم ، اعتزل أبوه منصبه فأراد أن يعلمه الأتجار ليساعده ويعينه ، ولكن أمه أرادت أن تفقهه فى دينه ، فأرسل الى مكتب ليتعلم مبادىء القراءة والكتابة ويستظهر القرآن . ثم الى مدرسة شمس أفندى حيث بدت بوا كير نبوغه .

وفى ذلك الحين فجعت الأسرة بموت عائلها ، فأضحت فى فقر مدقع ، وبؤس ملح ، فلجأت زبيدة الى أخيها فأوى اليها وعطف عليها ، واحتضن مصطفى وأخرجه من المدرسة وأبقاه معه ، وناط به رعى الماشية وإطعامها ، ومال الفتى الى هذا اللون من الحياة واطمأن اليه ، إذ كسب منه قوة فى بنيته ومتانة فى صحته ، ولم تزده الأيام إلا حبا له وشغفاً به ، وإباء لكل ما يرمى الى انتزاعه منه ، ولكن الأم الحكيمة لم تنزل على هوى الفتى الغرير ، فأغرت أختاً لها بالأنفاق على تعليمه وكان لها ذلك . ألحق فتانا مرغماً باحدى مدارس سالونيك ، فألفى البون شاسعاً بين حياته الأولى الحرة الطليقة ، وبين حياته الجديدة السجينة المقيدة ، فأضحى دائم الثورة كثير التبرم بنظام الدرس ، ولكنه ظل كما كان شديد الأعجاب بنفسه ، كثير التفاخر على أقرانه ، قليل المخالطة لهم حتى فى ألعابهم المدرسية ، فاذا هموا بمضايقته والتحرش به ، ناضلهم بشدة ، وردهم على أعقابهم مدحورين ، فاشتد بغضهم له ونفورهم منه وإنكارهم لكبريائه ، حتى اشتبكوا فى شجار معه وشكوه الى أحد المدرسين فصفعه صفعة أطارت صوابه ، ففر من المدرسة وعاد الى ذراعى أمه ، وعبثاً حاولت أن تعيده اليها رغم توسلها بالترغيب حيناً وبالارهاب أحياناً ، فاقترح خاله إرساله الى المدرسة الحربية بسالونيك ، لأن التعليم فيها لا يكلفهم من النفقات كثيراً ولا قليلاً ، وهى تحت رعاية السلطان عبد الحميد ، فاذا ظهر تفوق الفتى ارتفع الى مرتبة ضابط ، وإلا التحق جندياً بالحرس السلطانى . فمستقبله على أى حال واضح مأمون . وما كانت الأم لترضى بهذا

أو تميل اليه ، إذ كانت تريده فقيهاً على غرارها فى التقى والورع ، ولكن فتانا الثائر نال منه الاقتراح كل منال ، وأخذ منه كل مأخذ ، فما كانت نفسه الطموح لتقنع بما تريده الأم . بل هو يريد أن يرتدى حلة الجندية التى يرتديها تربه أحمد ابن أحد جيرانهم ، ويخطر بها غادياً رائحاً فى زهو وإعجاب ، ويمنى نفسه بأن يكون ضابطاً يصـدر أوامره فيتلقاها مرؤوسوه بالأذعان والخضوع ، ولم يطل بفتانا الأنتظار بل عول على نفسه فى تحقيق غايته . فلجأ الى ضابط متقاعد من معارف أبيه ، ورجاه أن يكون ولى أمره لدى المدرسة المذكورة . ثم تقـدم للامتحان فجازه ، والتحق بها دون أن تعلم أمه من الأمر شيئاً ، وهكذا أرادت الأم شيئاً وأراد الله شيئاً آخر ، فكانت إرادته جلت قدرته أرحم بالفتى وبأمته من الأم الورعة الزاهدة ، وفى المدرسة وجد الفرصة التى هيأتها له الأقدار فى عالمها المحجوب ، فبرزت مواهبه رائعـة فى الرياضة وسائر العلوم الحربيـة ، أما خلقه فظل كما هو ، بل زاد مزاجه حدة وطبعه تمرداً ، يثور لأقل نقد يوجه اليه ، أو لوم يلقى عليه ، وكان يحب دائماً أن يكون قبلة الأنظار ومدار الحديث ، ولم يكن أبغض اليه من أن يرى نفسه خاملاً ذاهباً فى غمرة الاهمال ، إذ كان شديد الشعور بشخصيته ، قوى الأحساس بارتفاعها عن أقرانه ، حتى كان يرد من حاول الأتصال به منهم قائلاً « أنا لا أريد أن أكون واحداً من أمثالكم » ويمضى فى سبيله قدماً لا يلوى على شىء ، كذلك كان لرغبته الملحة فى التفوق والتبرز ، شديد الحسد لكل من بذه منهم ، ولعلك تعجب حين تعلم أن هذا الفتى الجافى الخلق الفظ الطباع يلعب الغرام برأسه ، فيرى دائماً يخطر فى أبهى ملابسه وأزهاها ، مداعباً للفتيات مغازلاً لهن ، محاولاً الاستيلاء على قلوبهن ، ولكن لم العجب ؟ أوليست هى الطبيعة تأبى إلا أن تبرز العظيم فى جميع أدوار حياته نمطاً شاذاً ؟

ومهما يكن من أمر فتانا فقـد نبغ نبوغاً لفت نظر أحد أساتذته واسمه مصطفى ، فاختاره مشرفاً على إحدى الفرق الصغرى ووكل اليه إلقاء بعض الدروس ، ولتشابه الأسمين ميز الأستاذ تلميذه بإضافة اسم كمال ، فأصبح يعرف منذ ذلك الحين باسم مصطفى كمال ، وقد تخرج فى المدرسة فى سن السابعة عشرة . ثم أرسل الى المدرسة الحربية العليا بموناستير

(يتبع) **حنفى غالى**

مشـــهد ومكة

بقلم الأستاذ أمين الخولى

المدرس بكلية الآداب

سارت الرسالة فى عددها التاسع والتسعين ، بكلمة ناقدة للأستاذ عبد الوهاب عزام ، عن كتاب « جولة فى ربوع الشرق الأدنى » للرحالة محمد ثابت ، وقد عنانى من هذه الكلمة تفظيع الأستاذ عزام خطأ الرحالة فى قوله عن شيعة إيران : إنهم يفضلون مشهداً على مكة ؛ فنشطت لكتابة هذه الكلمة لا أنصافا للناقد أو المنقود ، فهذا شىء قد يكون عند غيرى حسابه ، إنما عنيت بذلك لثلاث : إحداهن حب الحقيقة ، وإنها لحقيقة أن تبتغى لذاتها ، ويحمل إلى الناس تصحيح ماخالفها تطوعاً . وثانيتهن : أن فى هذ الحديث عن تفضيل الشيعة مشهدا على مكة مثلاً شيقاً طريفاً للباحث النفسى عن فرق مابين العقيدة والفكرة ، وصلة مابين العقل بمنطقه ، والاعتقاد بسلطانه . كما أن أمثال هذه الحقائق النفسية هى الأصول القوية لتفسير التاريخ تفسيراً صحيحاً صادقا . والثالثـة : أننا حـين نعمل جادين ، وندعو محبين للوحدة الأسلامية ، وتقريب مابين الشعوب الأسلامية على تنائى ديارها ، واختلاف أنظارها ، يجب أن نعرف الحقائق على ما قد يكون بها من قسوة وشدة ، إذ لاغناء فى إنكارها ، ولاخير لنا فى تناسيها أو نسيانها .

***

قال الأستاذ الناقد « وأفظع من هـذا كله قوله عن إخواننا شيعة إيران ، إنهم يفضلون مشهداً على مكة ، وكيف يعقل أن أمة مسلمة شـديدة الغيرة على دينها تعتقد أن الحج الى مكة فرض ، وقاعدة من قواعد الاسلام ، كيف يعقل أن هذه الأمة ترى زيارة مشهد أفضل من الحج الى مكة ؟ . ربما بالغ عامة الايرانيين فى تعظيم مشهد وغيرها من المزارات الشريفة ، كما يبالغ عامة المصريين فى تعظيم مسجد سيدنا الحسين ، والسيدة زينب ، والسيد البدوى ، وابراهيم الدسوقى : ولـكن عمل العامـة لاتفسر به عقائد الأمة .

وهذه كتب الشيعة بين أيدينا تنطق بخلاف مازعم الكاتب » (ص ١٣٩٩ عدد ٥٩ من الرسالة) .

والأستاذ عزام خير من يعرف أن القياس قليل الجدوى وضائع الأثر فى مثل هذا المقام . فما لايعقل وما يعقل قد يُعتقد ويهرب معتقده من الحوار فيه أو الجدال حوله ، بل يهرب من طلب النفس تفسيره ؛ على أن الأستاذ لوأنصف لذكر من كتب الشيعة التى بين أيدينا شيئاً بعينه يفند هذا الزعم ، أو يحتسبه على العامة ، فيرد عليهم بدعتهم ، كما ترد على عامة المصريين بدعهم فى تعظيم المشاهد المصرية والقبور ، ولكنه لم يفعل فلم يرح القارىء .

وكيف يكون الأمر إذا كانت كتب الشيعة تقرر هذا التفضيل المكانى بقسوة وعنف ؛ وتجعل مكة وبيتها الحرام ذنباً متواضعاً ذليلاً مهيناً غير مستنكف ولامستكبر لكربلاء ، وإلا هوى الله بها فى نار جهنم ! ! . وهذا عالم فارسى شيعى من المحدثين قد أشرب روح العصر واعتداله أو تساهله إن شئت ، وهو مع ذلك ينقل عن قديم كتبهم هذا التفضيل ؛ بل يعد المروى فيه متواتراً عندهم ! ! ذلك العالم هو الشيخ أحمد بن عبد الله الكوزه كنانى ، صاحب كتاب روضة الأمثال فى تفسير آيات التمثيل بالقرآن الكريم ، وكتابه مطبوع فى فارس ومنه نسخة فى دار الكتب المصرية .

عقد الشيخ فصلاً « فى فضيلة أرض مكة وفضائل بيت الله . » الخ ص ١٨٧ . واستطرد فى خلاله بفصل عنوانه « فى أن أرض كربلاء أفضل من الكعبة » ص ١٨٨ وفيه يقول مانصه : —

« أقول قد ورد فى أخبارنا الخاصة أن أرض كربلاء أفضل من الكعبة مثل مافى البحار[1] عن . . . عن أبى عبد الله . . . قال إن أرض الكعبة قالت مَنْ مثلى : قد بنى بيت الله على ظهرى ، يأتينى الناس من كل فج عميق ، وجعلت حرم الله وأمنه ؛ فأوحى الله اليها أن كفى وقرى ، مافضل مافضلت به فيما أعطيت أرض كربلاء إلا بمنزلة الأبرة غرست فى البحر ، فحملت من ماء البحر ، ولولا تربة كربلاء مافضلتك ، ولولا ما تضمنته أرض كربلاء ما خلقتك ولا خلقت البيت الذى افتخرت به ، فقرى واستقرى ، وكونى ذنباً متواضعاً ذليلاً مهيناً ، غير مستنكف ولا مستكبر لأرض كربلاء ، وإلا سخت بك وهويت بك فى نار جهنم » إلى مرويات أخرى فى هذا المعنى آخرها قول الرسول عليه السلام « يقبر ابنى فى أرض يقال لها كربلاء هى البقعة التى كان عليها قبة الاسلام التى نجى الله عليها المؤمنين الذين آمنوا مع نوح فى الطوفان » ، ونختم هذا الفصل بقوله « والأخبار فى هذه المعانى فى خصوص كربلاء متواترة من أرادها فعليه المجلد الثانى والعشرون المسمى بمزار البحار » .

فليس الأمر من مبالغة العامة ، ولا من عمل العامة الذى لاتفسر به عقائد الأمة ولا نكر على الرحالة ، ولاقطاعة فيما أخبر به .

أنا لا أقول بصحة هذه المرويات بله تواترها ، وليس يعنينى فى شىء مطلقاً أن يستمسك إخواننا الشيعة بها ؛ بل أحب ألا يكون لذلك أثر حتى تتضاءل الفروق بين المسلمين ، ويهون التقارب ، لكن مالا نحبه قد يواجهنا صارخا به الواقع .

وأ كتفى بهذه الكلمة قائلا مع الأستاذ عزام فى ختام كلمتى : إننى لراج أن يتم التعارف بين الأمم الاسلامية ، حتى لا يكتب بعضها عن بعض إلا عن علم وروية ، وتثبت وانصاف ، والله ولى التوفيق .

أمين الخولى

---

(١) لعله يريد كتاب بحار الأنوار ، وهو كتاب كبير يعد مجمع علم الشيعة وفيه بيان عقائدهم ومذاهبهم .

اليابان
تلقى على الشرق درساً

للأستاذ محمد مختار المحامى

جاء فى الصحف اليومية منذ عهد قريب أن مصانع اليابان أخرجت سيارات زهيدة الثمن فى طاقة كل شخص أن يقتنيها وهى تريد أن تغمر بها أسواق العالم ، وقد كان لهذا الخبر رجة عنيفة فى جميع الدول ، فقد أوقعها فى حيرة شديدة إزاء هذا التيار الجارف الصادر من أقصى الشرق .

منذ نصف قرن تقريباً استيقظت اليابان من أحلامها ، وبخطوات العمالقة اقتحمت الهوة التى تفصلها عن الحضارة الغربية الحديثة فتركت وراءها قروناً غطت فيها فى سبات عميق ، ورفعت الحجاب عن أعين الشرق ونبهته إلى الحقيقة التى غابت عنه ، وأظهرته على باطل مايلقى إليه المستعمرون من أن الشرق يعيش فى الماضى ، وأن من المحال إحياءه وجعله يسير فى طريق التقدم لأن وجهه دائماً إلى الخلف ، وقد قبلنا هذا الاتهام وآمنا به ، وفعل فينا فعل التنويم المغناطيسى إلى أن أتت اليابان ففكت طلاسم هذا السحر ، وكنا قد نسينا أن نشأة الفلسفة والعلم والآداب وكل أديان العالم لم تكن إلا فى الشرق ، فكيف تتهم أراضيه بالعقم وعقوله بالجمود ، وهى التى قد حملت مشاعل الحضارة وقت أن كان الغرب يتخبط فى الظلام ؟

لقد دهش العالم أيما دهشة حين حطمت اليابان الحواجز التى كانت تحجزها عن العالم بين يوم وليلة ، ثم خرجت منتصرة أيما انتصار ، فقد فعلت ذلك فى وقت قصير كالوقت الذى تغير فيه الثياب ، لا الوقت الذى توضع فيه أسس حضارة جديدة ، وقد أظهرت أصدق مظاهر قوة الخصب والقدرة على العيش فى هذه الحياة الجديدة ، فقيل إن هذا الانقلاب ليس إلا مسخة من مسخ التاريخ ، أو فقاعة كفقاقيع الصابون كاملة فى استدارتها ولونها ، جوفاء فى قلبها ومادتها . ولكن اليابان أثبتت أن تطورها لم يكن لحظة دهشة قصيرة ، أو فرصة من فرص مد الزمن وجزره .

الحقيقة أن اليابان قديمة وحديثة فى آن واحد ، فهى لم تترك تراث الشرق القديم وثقافته التى تدفع الانسان إلى البحث عن القوة والسعادة الحق فى أصل نفسه والتى توحى اليه برباطة الجأش عند مواجهة الخسائر والأخطار ، وبالتضحية التى لاتحسب حساباً للكسب وبتحدى الموت . فاليابان زهرة من أزهار اللوتس تنمو بسهولة ورشاقة محافظة على الأعماق التى منها نمت ، ومع ذلك فقد تسلقت اليابان إلى آخر ماوصل إليه الغرب وصارت تعج فيها الحضارة الحديثة بكل مسئولياتها .

إذن الحياة والقوة كائنتان فى الشرق ، ولكنهما كامنتان تغطيهما قشرة ميتة يجب أن تزول ، لأن الاحتماء بالميت موت ، واحتمال أخطار الحياة حياة .

ولا يظن أحد أن اليابان قد وصلت إلى ما وصلت إليه بالتقليد ، لأننا لانستطيع تقليد الحياة والقوة لأمد طويل ، بل إن التقليد مصدر من مصادر الضعف ، فهو يعوق طبيعة الأمة الحقيقية ، لأنه كالباس هيكل عظمى لانسان ما ، إهاب إنسان آخر .

لقد استمدت اليابان غذاءها من الغرب ، ولكنها لم تستمد منه حيويتها ، بل احتفظت بروحها ، وهذه هى المعجزة التى بهرت أعين العالم ، فقد علمت عن حق ويقين أنه لايمكن قبول المدنية الغربية على علاتها ، تلك المدنية التى لم تحل بعد أعظم مشاكل الوجود كالتنازع بين الفرد والدولة ، وبين العمل ورأس المال ، وبين الرجل والمرأة ، والتنازع بين شره الكسب المادى والحياة الروحية للانسان ، وبين أطماع الأمم المنظمة والمثل العليا للانسانية ، تلك المدنية التى تتغنى بالحرية ، ثم تأتى بأقسى ضروب العبودية ، تلك المدنية التى يفقد الانسان تحت تأثير سحرها كل ثقة فى المثل العليا التى جعلته من قديم الزمن إنساناً .

والحق يقال إن النفس الشرقية بما انطوت عليه من قوة روحية وحب للبساطة واعتراف بالواجبات الاجتماعية عليها أن تحكم العقل الشرقى إذا أرادت أن تشق طريقاً وسط هذه المعمعة الغربية ، وعليها ألا تلقى وراء ظهرها تراث الأجيال الماضية كما تلقى الملابس البالية ، إذ أن هذا التراث فى دمها وفى نخاع عظمها وفى تكوين لحمها ، وفى ألياف مخها ، وهو يكيف دون أن تشعر ودون أن تريد كل ما تضع عليه يديها بتكييفه الخاص .

ومن تراث الماضى وغذاء الحاضر المستمد من الغرب عليها

[البقية فى أسفل الصفحة التالية]

أن تخرج خلقاً جديداً لا مجرد تكرار، ولتكن لنا من اليابان عبرة

إنا لنصغى إلى ما يقوله الغربيون من أن مدنية الشرق ليست إلا فلسفة لاهوت، فإن الأصم يرى فى اللعب على (البيانو) حركات أصابع مجردة عن نغم الموسيقى، وهم لا يعرفون إننا قد بنينا تقاليدنا على أساس من الحقائق التى تدخل الطمأنينة والسلوة فى قلب الانسان، والتى تجعل وجدانه دائم اليقظة والحياة.

لقد واجهت الشمس المشرقة العالم فكانت الأولى فى الشرق فى هذا السبيل، ولقد أشعلت الأمل فى فؤاد الشرق فحق عليه أن يقدم لها الثناء، ومن يدرى فقد يكون هذا بشيراً بأن يعم النور الخالد هذا المكان الذى بزغت فيه شمس الآدمية لأول مرة.

محمد مختار المحامى

ليلى العفيفة

للمرحوم الأستاذ محمد عبد المطلب

. . . لعل أسمى مراتب العظمة الانسانية فى الحياة الدنيا هى تلك الكلمة الصغيرة التى تفنى الأجيال وهى باقية، وتتقلب الأزمنة وهى ثابتة، وتخفت الكواكب والأقمار وهى متلألئة متوهجة، والتى أسميها؛ ويسميها الناس معى « . . الخلود . . » ! !

نعم . . إن أعظم ما فى الحياة الدنيا وأبقى ما فيها من خير هو الخلود من غير شك . . وإذا قلنا إن الخلود هو أمتع ما فى الحياة من جمال وروعة، فلأننا نريد أن نقول أيضاً إنه صعب المنال عسر الادراك. لا يشترى إلا بأعز ما فى النفس البشرية، وأغلى ما فيها . . وهى الحياة . . فمن ضحى بحياته، أو كان على استعداد لتضحيتها فى سبيل سعادة غيره ورفاهيته ورفع الظلم عنه نال الخلود لأنه أناله لغيره، أو حاول أن ينيله إياه — إن قصر أجله عن إتمام ذلك —

ومن ضحى بوقته وراحته فى سبيل تثقيف الغير وتعليمهم، وتهذيبهم ونشر نور العلم بينهم. لن يفنى وإن فنى جسمه، ولن يُنسى وإن اختفى شخصه، ورجع الى الأرض التى منها نشأ وعليها تربى.

فالحياة والذكرى ليستا وقفا على الجسوم الحية المتحركة .. وإنما هى رهينة تلك الأعمال الجليلة التى أداها أصحابها، وعلى تلك الخدمات الصادقة التى بذلوا فى سبيلها راحتهم وشبابهم، والتى لن تفنى حتى يفنى الفناء، ولن تزول حتى تتبدل الأرض غير الأرض والسموات.

فكم من حى لا تعرفه إلا نفسه، وكم من ميت بلى عظمه وفنى جسمه، ومع كل فهو يملأ القلوب بحبه، ويملأ الدنيا بذكره واسمه.

ومن هؤلاء الخالدين المرحوم الأستاذ « محمد عبد المطلب » الذى تعرفون عنه أكثر مما أعرف، وتقدرون أعماله الجليلة كما أقدر، وتؤمنون بعبقريته الفذة كما أومن، وتعترفون بشاعريته الخصبة السامية كما أعترف، وتفخرون بدرره اللامعة — التى حلى بها جيد العربية — كما أفخر.

لهذا فانى أعتقد أنكم تودون أن تقرءوا له شيئاً لتمتعوا أنفسكم بسحر هذا الشاعر البدوى الذى سيدهشكم الآن بأسلوبه الحضرى الرقيق، وبتفكيره العصرى الذى نعجز عنه ونحن فيه.

وقبل أن أعرض للأستاذ المرحوم شيئاً أود أن أقول: إنه كان من أسبق الشعراء الى تأليف الروايات، فله فى دار الكتب من عشرين سنة مضت روايتا « المهلهل » و « امرىء القيس » وله أيضاً عدة روايات وضعها للمدرسة السعيدية وقت أن كان مدرساً بها:

وكأن المرحوم شعر بحاجة المسرح المصرى الى روايات عربية سليمة التفكير رقيقة التعبير، فوضع له فى سنة ١٩٠٩ رواية « ليلى العفيفة » ، ولكن حظ المسرح التعس حال دون ذلك، لأن الأستاذ لكثرة أعماله فى مدرستى دار العلوم والقضاء الشرعى لم يستطع إتمام القصة، وحاول فى أواخر أيامه أن يتمها ولكن الموت القاسى عاجله، فحرمنا من تراث أدبى نافع. على أننا سنعرض الجزء الذى كُتب من « ليلى العفيفة » بنت لكيز، وهى التى حاربها الزمن على يد أبيها بضع سنوات، فأذاقها مُرَّ الحياة وشقاء العيش، وذل الأسر . . . ولكن الله جلت قدرته أنالها سعادتها مضاعفة، ورد عليها فتى قلبها وبطل أحلامها جزاء وفائها وإخلاصها . . .

ولعل القارئ يدهش من هذا ويعجب ، إذ كيف يحارب رجل ابنته ويذيقها الألم الممض ، ويمنع عنها سعادتها ورفاهيتها . والمعروف أن الآباء يتسابقون الى جلب السعادة لبناتهن ؟!

ولعله لا يدهش ولا يعجب عند ما أقول له : حقاً إن الآباء يفعلون هذا وأكثر من هذا ، ولكنهم فى مسألة واحدة ، بل وفى لحظة واحدة يهدمون حياة بناتهن ، ويسقونهن كأس الموت مترعة ، ويقاومون شعورهن ، ويتجاهلون إحساسهن ، ويدفعونهن الى الهاوية باسم المحافظة عليهن . فترى الرجل منهم عند ما يعلم أن ابنته تهوى إنساناً وتحبه ، وتود من صميمها أن يكون رجلها . تراه فى هذه اللحظة قد تنمر وركب رأسه الأخرق ، ووقف بينها وبين من تحب رافضاً زواجهما ، آبياً جمعهما ؛ بل يزوجها ممن يحب هو ويريد ، محتجاً بأنه أعرف منها بمصلحتها ! فتكون الطامة ، وتكون النهاية السوداء فى أغلب الأحايين !.

وهذا ما حصل فعلاً مع ليلى بنت لكيز فانها كانت مخطوبة لابن عمها البراق ، وكان الحب يجمعهما رباطه المقدس . فرأى لكيز بعقله الأخرق ، وحماقته المجنونة أن يفسد هذه الخطبة ، وأن يقبل خطبة عمرو بن ذى صهبان لابنته طمعاً فى ماله وشجاعته !.. فانظر اليه وقد زاره أحد بنى كليب لينهاه عما فعل حرصاً على البراق ورحمة بابنته التى تحبه وتهواه :

كليب : ما لأبى ليلى حزيناً مطرقا ؟

لكيز :

أرقنى شغل بليلى أرقا ... جمّع من همى ما تفرقا
عمرو بن ذى صهبان لما حققا ... أن لها فى الحسن جدا صدقا
وفى المعالى غاية لن تلحقا ... بادر فى خطبتها مستبقا

كليب :

رام ابن ذى صهبان صعب المرتقى ... إن سمع البراق أو تحققا
بأن عمرا باب ليلى طرقا ... أرعد كالليث لنا وأبرقا
وطبق الأرض علينا طبقا

لكيز :

لكن عمراً بالأيادى سبقا ... قلدنا نعماءه وطوقا
يجود كالغيث علينا غدقا ... إذا بنا صرف الليالى أحدقا

كليب :

لكنه ليس من البراق ... أحق بالطاهرة النطاق
نقية الأعراض والأعراق ... وهو فتى الجيش لدى التلاقى
وما لبكر غيره من واق ... إذ تأخذ الخطوب بالخناق
وتلعب الأرواح بالتراقى ... فى يوم هول مظلم الآفاق

حتى إذا يئس كليب هدده بقوله :

إياك يا ابن العم أن تجيبا ... فان فيه اللوم والتأنيبا
وإن ليلى — إن تكن أريبا — ... تأبى سوى ابن عمها خطيبا
وهو وان كان لها حبيباً ... فما أتت نكراً ولا عجيبا
فلا يزال السيد الأريبا ... فى قومها والبطل المهيبا
يكفيهم البأساء والكروبا

فيغضب لكيز من قول كليب ويستأسد قائلا :

ويحك ! هل ليلى ترد أمرى ... برد هذا وقبول عمرو ؟
رَضيت عُمرا أن يكون صهرى ... ما حجتى فى رده ؟ ما عذرى ؟
أليس فى منعيه عين الغدر ... ولو أبى البراق إلا هجرى ؟
فليجر فى قطيعتى ما يجرى

وقد أنصف كليب كل الأنصاف حينما ذكره بأنه غدر بابن أخيه فقال له :

يا أبا ليلى كفى . فالحقوق . أنكرتها . ذلك الغدر
وأحاديث الجفا . والعقوق . كررتها . حلوها مر
غضب البراق . مر لا يطاق . وله العذر

ولكن أنّى لكيزاً يأبه لهذا ويهتم به ؟ كلا وإنما يمعن فى قسوته ، ويسترسل فى شدته ، ويأبى إلا تنفيذ ما رآه . ولو كان ما رآه هو الخطل بعينه ، فاسمع الى ابنته ليلى وقد عرفت من أمرها ما عرفته : فأخذت تشكو الى الله ظلم أبيها ، وتعدد مناقب ابن عمها ، وتبثه لواعج غرامها . ثم تعرج على خطيبها المكروه فتتمنى من الله أن يقبض روحها قبل أن تزف اليه ، فتواسيها صديقتها سلمى فلا تستمع اليها ، ولا تزداد إلا أنيناً ، وإلا حسرة على بعاد براقها

ليلى :

رب ! كم تبلو وتمتحن إن قلبي شفه الحزن
كلما قلت انجلت محن عاودتني بعدها محن

سلمى :

هل أتى عن ركبنا نبأ محزن، من بعد ما ظعنوا ؟

ليلى :

لا ، ولكني أرى جللا عاجلا يسعى به الزمن
يا ابن عمي إن لي كبداً قد براها بعدك الشجن
إنما البراق خير فتى فيه بنت العم تفتتن
صده عني أبي سفها وأبي في رأيه أفن
وأتى عمرو ليخطبني فأذلهم له المنن
ليت شعري ما الذي خبأت لي من أحداثها اليمن
ليتني يوم أزف له يحتويني قبله الكفن

سلمى :

إن في الأيام معتبراً والليالي بيعها غبن
اصبري ليلى ! ولا تهني إن عزم الحر لا يهن

ليلى :

ارحمي يا سلم والهة غلقت من قلبها الرهن
وارحمي البراق فهو بنا قد جفا أجفانه الوسن

وكما قلنا من قبل أن أرواح العاشقين متجاوبة تشعر بشعور واحد ، وتحس باحساس واحد وفي وقت واحد . فاننا نستطيع أن نقول هنا إن براق أحس ما أحسته ليلى ، وشكا مما شكت منه ، فقال لصديقه عقيل :

براق :

ياعقيلا ، ياعقيلا ، ما ترى الليل طويلا ؟
ما لنجم الليل لا يبغي عن الأفق أفولا ؟

عقيل :

طال ليلى وهو أولى بعد ليلى أن يطولا

براق :

بالأسى قد عيل صبري

عقيل :

أي نعم ، صبرك عيلا
يا ابن روحان رويدا واصبر الصبر الجميلا

براق :

إن يحل دوني فاني عن هواها لن أحولا
يرتضي مثل ابن ذي صهبان من ليلى حليلا
إن ليلى يا عقيل لا ترى مني بديلا
ظلموني ظلموها أغضبوا السيف الصقيلا
أنا إن لم أسق عمي بالردى كأساً وبيلا ...

فيخاف عقيل من هذا التهديد ويخشى عاقبته .. ويشفق للكبير أن يقتله ابن أخيه فيقول لصديقه بخبث :

عقيل :

أو ترضى يُشتم ليلى ؟

فيستفيق براق حينما يسمع اسم ليلى ، وتأخذه عليها الشفقة والرحمة ، ويخاف كرهاً إن هو نفذ تهديده .. فيكرر صديقه الخبيث قوله :

عقيل :

أوترضى يُشتم ليلى .؟

براق : لا ولا ، حسبي ذهولا
قطع السيف يميناً تترك العم قتيلا
والفتى من كان للأهلين مسماحا وصولا

غير أن براق يرى أن من المستحيل عليه معاشرة أهله ، وقد حطموا قلبه وفتتوا كبده فيقول :

غير أني لا أرى عن أرضكم إلا الرحيلا
يا لقومي للنوى زموا عن الحي الحمولا
وإلى البحرين في صبح غد، حثوا الرعيلا

حتى إذا كان الصباح رحل براق الى اليمامة ليأسو جرحه ، وينسى ما هو فيه من عذاب وألم . فهل ترى الأقدار ساعدته ؟ أم أنها كانت تعد له من مخبآتها ما أثار شجونه واستفز رجولته وألهب حميته وهو العربي الصميم ؟

نعم إن الأقدار حاربته وعذبته ، فانه ما كاد يستقر في اليمامة حتى علم أن قومه في حرب ضروس مع طيء وخزاعة . فماذا يعمل ؟ أيذهب ويحارب معهم حتى ينتصروا وهم هم الذين عذبوه ومزقوا قلبه .. ؟ ؟ أم يتركهم لأعدائهم يسومونهم سوء

العذاب يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم ؟ إنه إن فعل هذا فقد لحقه العار وركبه الذل ، وناهيك بعار العرب وذلهم ، على أنه مع هذا وذاك لم ينس أن يتهكم ويعتد بقوته فيقول :

أتانى أن قومى جد فيهم   من الحدثين شر مستطير
أناخت بينهم حرب عوان   ضروس للردى فيها زئير
وما أدرى أيذكرنى لكيز   إذا استعرت وطار لها زفير؟
وهل هو بابن ذى صهبان يغنى   إذا عميت على القوم الأمور؟

وما إن ينتهى براق من قوله حتى يخبره خادمه بضيوف يطلبونه ، وسنرى الآن من أخلاق براق ما يدهشنا ، وما يثير إعجابنا

الضيوف : نزلنا بأبى نصر   سلام يا أبا نصر
دعوناك الى أمر   فهل تصغى الى الأمر؟
بنو عمك قد جاروا   ومدوا سبب الشر
وقد خانوك من قبل   بمحض البغى والغدر
فخالفنا وأيدنا   عليهم واسع فى النصر
نخالفك على من شئـ
ت فى بر وفى بحر

براق :
ذرونى لست أترك آل قومى
وأرحل عن فنائى أو أسير
بهم ذلى إذا ما كنت فيهم
ولكن لى بهم شرف خطير
أأنزل بينهم إن كان يسر
وأرحل إن ألم بهم عسير ؟

وفى إثر هذا القول الذى خيب ظن القوم يخرجون وهم يتميزون غيظاً ويحترقون ألماً . بل وفى إثره أيضاً يعلم براق بموت أخيه وانكسار قومه ، وأسر أغلبهم وفيهم « ليلى » فيطير عقله ، وينخلع قلبه ، ويسافر تواً الى قومه ويجمع شملهم وينظم عقدهم . ويشاء الله أن ينتصر انتصاراً حاسماً وأن يشتت أعداءه ، ويمزقهم شر ممزق ثم يرجع بحبيبته ليلى ليستأنفا سعادتهما وحبهما ، وهو يقول :

ياليل قومك عنك قد نكلوا   يا خجلتى يا بئس ما فعلوا
أفأسلموك وأمعنوا هرباً   وتخطفتهم دونك السبل ؟
أم كانت الجلى فما ثبتوا   وعن الحريم لهولها ذهلوا ؟
أهلوك لا مِيل ولا كُشُف   عند اللقاء ، إذا هم نزلوا
إن يخذلوك فرب معترك   عميت به النجدات والحيل

* * *

هذه عجالة رأينا من الخير للأدب أن ننشرها للناس . لتكون ذكرى طيبة للأستاذ الخالد ، ولتكون نواة صالحة ، وقدوة حسنة لمن يود أن يكتب الشعر العربى الرصين للمسرح المصرى . رحم الله الفقيد وأسكنه مساكن الشهداء والصالحين .

محمد السيد المويلحى

من طرائف الشعر

وحي المصيف

ليلة البدر

للشاعر الوجداني أحمد رامي

غبرت أعدّ ليالي العمُر ... وأرتقب البدر حتى ظهرْ
وفي القلب أمنيّة للقاء ... وفي النفس عاطفة للسمرْ
أسوق اليك حديث الشجون ... وأشكو اليك صروف القدر
وأرسل شعري على مِزهري ... فأسمع منك حنين الوتر

***

تعالَىْ الى زورق سابح ... نشقّ عليه عُباب النّهَرْ
ونبصر بدرَ الدجى زاهياً ... يرصّع أعطافه بالبدر
وفي الشاطئين حسان المغاني ... تجلّت لأعيننا كالصوَر
سجا الليل إلا اصطفاق الشراع ... وأبلس إلاّ حفيف الشجر

***

بقلبي شكاةٌ تكتّمتها ... وقد كتم القلب حتى صبر
توالى المغيب وكان الغروب ... وعيني على الموعد المنتظر
ظللت أودّع شمس النهار ... وأستقبل الليل بين الذّكر
خلا الكون إلاّ نجيّ الفؤاد ... تناغى مع الموج لمّا هدر

***

هُنا البحر أقبل آذيُّهُ ... هنا النيل طالعه وانحدرْ
تلاقى الغريبان بعد النوى ... وضِنّي الذي أرتجي ما ظهر

تعالى

له أيضاً

تعالى نسعد الروح الحزينا ... فقد قرّت نواة الوجد فينا
حرمتِ هوى الذي ترضين إلفاً ... وعزّ عليّ من أهوى خدينا
كلانا ناشد قلباً حنوناً ... وكلٌّ يحتوى القلب الحنونا
تعالى كفكفي الدمع السخينا ... فكم أرسلتِ بالدمع الجفونا
عرفتِ الحزن في فجر الليالي ... وذقتُ من الأسى فيه فنونا
وملتُ عن الهوى ونأيت عنه ... فذكرنا اللقاء، وما نسينا
بكيتِ مودة وبكيتُ شجواً ... ومن يبك العهود يكن أمينا
فواسيني ترى قلبي حنونا ... وباكيني ترى دمعي هتونا

رأس البر

أحمد رامي

من الأدب الغربي

الضجر

للشاعر الانجليزي هنري لنجفلو

ترجمة محمد متولي بدر

يا قدَما من سُرى الليالي ... ورحلة العمر والسنين
أدمتكِ أحجارها ففاضت ... فجاجها بالدم الثخين
تجرين بالعبء — والأماني ... تفرّ — موصولة الأنين
ها أنا أوشكت أن أوافي ... لبيتك الهادئ الأمين
هناك ننسى الذي عرانا ... ومضنًى في حمى السكون
لشدّ ما أرهقتْ فؤادي ... يا قدمي رحلة السنين!

***

ويا يداً، لا أراكِ إلاّ ... كثيرة الوثب والنضال
آناً مليكاً ومستبداً ... وتارة موطئ النعال
الجود يُعليكِ بالعطايا ... والفقر يدنيك بالسؤال
أنا الذي خضت مستميتاً ... معترك العيش بالقتال
يا طالما رحتِ في شقاء ... تشكين من كثرة الأمالي
كم أنا يا عدتي حزين!! ... فؤاد من دائك العضال!

***

وأنت يا قلب يا صغيري ... يا دائم الخفق والوجيب
أراك تهتاج بين هذي!! ... ضلوع كالثائر الغضوب
كأنما أنت — والأماني ... بعيدة — ملّت الغروب
يا عجباً! هل رماك رامٍ ... غير أمانيك بالخطوب؟
نارٌ كنار الغضى وجمر ... متقد ثائر الشبوب

[البقية في أسفل الصفحة التالية]

العلوم

بعض الأسماك الغريبة بالبحر الأحمر

للدكتور كرسلاند
مدير محطة الأحياء البحرية بالغردقة

لم تمض بضع سنوات قليلة على إنشاء الجامعة المصرية حتى فطنت إلى أهمية البحر الأحمر من الوجهة البيلجية . فأقامت على شاطئه الغربى محطة الأحياء البحرية بالغردقة لمساعدة البحاث من العلماء على دراسة هذا البحر واستنباط أسراره . وهنالك فى هذه المحطة يمكننا أن نشاهد دون ما عناء تلك الحيوانات الغريبة التى تختلف كثيراً عن حيوانات البحار الشمالية والبحر الأبيض المتوسط ، والتى لم يرها حية إلا نفر قليل من العلماء تكلفوا فى سبيل ذلك من المال والعناء الشيء الكثير .

ويكفى أن تجرف قاع البحر — قريباً من مرسى المحطة حيث تغزر الحشائش — بجرافة صغيرة كى تحصل على نحو من ثلاثين نوعاً من الأسماك الصغيرة ، أغلبها غريب فى شكله وعاداته . ومن هذه الأسماك فرس البحر والأسماك الأنبوبية الفم (Pipe fishes) ولا يبدو فرس البحر لأول وهلة من الأسماك ، لولا زعانفه الصغيرة . وقد فقد زعنفته الذنبية فليس يفيد الذنب فى العوم ، وإنما يلتف حول الحشائش التى يعيش بينها فرس البحر فيمسك بها . أما الأسماك الأنبوبية الفم فبرغم جسمها العصوى الشكل الكثير الحراشيف ، فهى أشبه بالأسماك العادية من فرس البحر ويمكننا أن نرى جلياً حلقة الاتصال بينها وبين فرس البحر . فهنالك واحدة من الأسماك الأولى ذات ذنب قابض قد فقد زعنفته ، فاذا أخذت هذه السمكة وثنيت رأسها بزاوية قائمة ونفخت بطنها حصلت على فرس البحر . . كل هذه الأسماك تشابه الحشائش البحرية فى لونها ، وتحمل نقطاً حمراء قاتمة أو سمراء تشبه تماماً صدأ الحشائش التى تعيش بينها .

وتبلغ مشابهة الأسماك للحشائش أقصاها فى نوع ماصة الفم (Solenostomus) (شكل ١)



شكل (١) سمكة ماصة الفم (Solenostomus) تصعب رؤيتها بين الحشائش البحرية

فهذا النوع يبلغ فى الطول ثمانية سنتيمترات ، ومع ذلك تصعب رؤيته جداً بين الحشائش التى يعيش بينها ، حتى خارج الماء . ويخيل لناظر الصورة أن هذه السمكة سهلة الرؤية لشكلها الغريب ، ولكن جسمها الرقيق ذا اللون الأخضر وزعانفها الصدرية العريضة والنقط السوداء المنتشرة عليها ، كلها تكسبها شكلاً يحول كثيراً دون رؤيتها بين الحشائش خارج الماء . فكم تتعذر رؤيتها فى مكانها الطبيعى ؟

وهناك جنس آخر لايمت إلى الأسماك الأنبوبية الفم بصلة يعرف بالأمفسيل (Amphisile) (شكل ٢) يشبه الأولى فى فمها



(شكل ٢) أمفيسيل (Amphisile) سمكة ذات حراشيف كبيرة ملتحمة ، «ذ» الزعنفة الذنبية متحولة إلى الجهة البطنية «ظ» الزعنفة الظهرية وهى التى تكون نهاية جسم السمكة

الأنبوبى الماص ، وتغطى جسمه حراشيف كبيرة ملتصق بعضها

الآن فاهدأ فسوف ترضى ... وتنطفى شعلة اللهيب
وأنت يا روح ، يا حياتى ... يا هبة الرب والسماء
هبطتِ من عالم خفى ... أنقى وأصفى من الضياء
يا روح ، هذى سحائب العمـ ... ـر كالأواذىِّ فى الفضاء
تُمعِن فى سيرها وراحت ... تنتهب النور فى ظمَاء
يالى من العمر ! كيف ولّى ... وانحدرت شمسه ورائى ؟ !
يالى من الموت ! كيف حانت ... واقتربت ساعة اللقاء ؟ !

محمد متولى بدر

بعض ، تكسب السمكة صلابة فى الحركة — وجسم أسماك هذا الجنس مفرطح رقيق صلب ، فهو أشبه شيء بحد السكين ، ولا ينتهي بالذنب كالمعتاد ، فقد تحول هذا من مكانه الأصلي وتقدم قليلاً نحو الجهة البطنية . ويستدل من زعانفها الصغيرة على بطء حركتها — ولا يمكننا أن نتكهن كيف يعيش هذا السمك الغريب ، إذ يصعب الحصول عليه حياً أو على الأقل فى حالة جيدة ، وذلك بالرغم من صلابة حراشيفه التى هى بالنسبة إلى حجمه أقوى من درع التمساح . والمفروض كما وصف بولانجيه (Boulenger) فى كتابه « المربى المائى » (Aquarium Book) أن هذه الأسماك تتغذى على الحيوانات المائية الدقيقة تمتصها بفمها الأنبوبى .

وتعطينا الأسماك الأنبوبية الفم مثلا من الأمثلة النادرة بين الأسماك ، اذ يحتفظ السمك ببيضه حتى يفقس ، وبيرقاته حتى تتطور وتصبح قادرة على الأخذ بأسباب الحياة . والذكر وحده هو الذى يرعى النسل ، فله كيس بطنى تضع الأنثى بيضها وتثبته فيه . ومن بين الأسماك الصغيرة هنا سمكة تلصق بيضها بعضه ببعض على شكل كرة ، تمسكها بفمها فتسد فتحته حتى ليستحيل الغذاء ، والغريب أنها مع ذلك تتنفس — ومن طبيعة الأسماك الكبيرة أن تأكل الصغيرة ، سواء أكانت من نوعها أم لا . وهنا نرى جلياً ظهور غريزة تخالف تماماً الطبيعة العامة للأسماك ، وهى تشبه فى ذلك غريزة بعض الأقراش الكبيرة (Sharks) يقال إنها تأوى صغارها فى فمها — ولا يمكننا أن نقول إن مثل هذه الأسماك يمكنها أن تتعرف صغارها ، فان عقل الحيوانات لم يصل الى الدرجة الدنيا التى يمكنه معها تمييز صغارها الا فى ملايين السنين بعد أن بلغت الأسماك نهاية تطورها المخى .

وعائلة السكوربينويد (Scorpaenoids) كلها أسماك قبيحة المنظر ، لها أشواك حادة فى كل مكان يمكن أن يظهر فيه الشوك . وكلها ضارة اذا أمسكت ، وبعضها خطر يهدد الحياة . اذ أن للأشواك غدداً سامة — ومن أفراد هذه العائلة أسماك صغيرة تعيش بين الحشائش المائية أيضاً ، ونحصل عليها بالجرافة . وهذه أدنأ أفراد العائلة وأقلها تخصصاً . ويمكن امساكها بشىء من الحذر . ومن هذه أخذ التطور طريقين . فنشأت من ناحية أسماك منتفخة كثيرة التجاعيد والنتوءات (شكل ٣) هى أقبح المخلوقات ، يبدو التمساح بجانبها حيواناً جميلا وديعاً . وقد بلغت هذه الأسماك حد مشابهة الصخور المرجانية فى شكلها ولونها حتى لتكاد تستحيل رؤيتها فى موضعها الطبيعى اذا وطئها انسان عارى القدم أو بحذاء رقيق أصابه ألم مبرح قد ينتهى بالموت . وهى غير منتشرة هنا ، وان كان يوجد منها نوعان . وشيء واحد نحمده لها ، ذلك أنها لو ذبالقرار اذا أوجست خيفة أو لمحت انساناً يسير على الشعاب ، فاذاً يسهل رؤيتها لوضوح زعانفها الصفراء الفاقعة ، فى أحد النوعين ، وخطوط عريضة بيضاء فى ذنب النوع الآخر ، فبها نحذر من شرها .



(شكل ٣) سمكة من عائلة السكوربينويد تسمى هنا (البومة) (Synanceia) تشبه تماماً الصخور المرجانية ولها أشواك سامة جداً

وذهب التطور من الناحية الأخرى الى سمكة تعرف هنا بالجنخ — (شكل ٤) — (Pterois) وهى وان شابه جسمها جسم الأسماك العادية ملاسة ، الا أن لها رأساً مجعداً كبقية أفراد عائلتها . والزعانف فى هذه السمكة تأخذ شكلا غريباً ، اذ تطول أشعتها كثيراً وتصير أشبه شيء بريش الطيور ، وليست كزميلاتها تهاب أعداءها ، وتحاول التخفى بمشابهة الصخور والأعشاب ، بل تبدو جلية واضحة بألوانها الزاهية الجميلة . فجسمها مخطط أسمر وأشهب ، بينما ريشها الطويل ملون بالأحمر والأسمر والأبيض . وتكثر الجناخ (جمع جنخ) هنا — وقد اعتدت أن أزور صخرة



(شكل ٤) الجنخ . الزعانف الصدرية والظهرية طويلة جداً وتشبه ريش الطيور وألوانها زاهية

مرجانية قريبة من المحطة لأتمتع بمشاهدة المرجان اللين النامى عليها ولألاحظ النجوم الريشية (Feather Stars) تخرج من جحورها ،

[البقية فى أسفل الصفحة التالية]

القصص

قصوصة من الأدب المجرى

الأنشــــودة

بقلم الكاتب المجرى يوليوس كرودى (١)

« أنْ ينفق المرء وقته فى الليـل ، تحت نافذة ، ومن وراء حجاب ، ولا يعمل شيئاً إلا أن يفكر فى امرأة ، أمر حاوله بلا ريب كل انسان فى هذه الحياة » . والحق أنه من السخف أن نجد رجلاً رزيناً يسير فى الطريق نهاراً رافع الرأس ، يُحمل من وقت الى آخر ، اذا ما جاء الليل على ارتكاب الحماقة تحت تأثير الجوى والأفكار التى تحملها الخفافيش ؛ فيذهب ليلاً ويتربص تحت نافذة ، بينما لا يشعر انسان بأمره ، وليس لعمله أى معنى ، إذ ربما كانت السيدة المنشودة تحلم فى مثـل هذا الوقت بأوراق « اليانصيب ، أو تحلم برجل آخر ؛ أو يعمد الى تلاوة نظم بوشكين تحت الأشجار ، بينما لا يصغى اليه انسان سوى الليل . . . والله شهيد على انه ليس ثمة حياة أكثر خزياً وإنما من حياة رجل عاشق ! »

دونت هذه الأسطر فيما مضى حين كنت أعتقد من الضرورى أن أسطر على الورق بعض مشاعرى ، فى مذكرة عتيقة ذات غلاف أحمر ، وقد مرَّ على ذلك زمن طويل ، وكنت يومئذ فى العشرين ؛ وكنت ألاحظ كثيراً من الأشياء المختلفة التى لا أتنازل اليوم بالالتفات اليها . وكنت أحب السياحة فى العربة من مدينة الى أخرى ، فكنت أحفظ أسماء نسيت أصحابها ، وأدون فى مذكرتى بكل عناية ما أقف عليه فى الفنادق العتيقة ، محطات أسفارى ؛ ففى فندق « الوردة البيضاء » كانت هناك آنسة خادمة تدعى فالى ، وكانت تتعلم الفرنسية خفية ؛ وسمعت صاحب حانة ليليـة فى الطريق الأعظم يتحدث عن الأمبراطور فرانز يوسف ، ويقول أنه مرَّ وهو فتى من هذا الطريق فى عربة تجرها

(١) من أعظم كتاب المجر المعاصرين (١٨٧٨ — ١٩٣٣)

وتنشر ريشها ساعة الأصيل . وقتئـذ يخرج الجنْخ من مضجعه ويعوم بتؤدة وهوادة ، حتى اذا وصلت الى هذه الصخرة ، دفعت رأسها الى أسفل ، ونشرت أجنحتها الـكبيرة أفقياً ، ورفعت زعنفتها الذنبية ، وهى كالزعانف الظهرية الخلفية والشرجية رقيقة شفافة تصعب رؤيتها فى الماء . وتمكث هكذا طويلا دون حراك ، ولا تزال الغاية من عملها هذا سراً خفياً

* * *

البحر الأبيض المتوسط بحر النور والألوان ، ولـكن الخبيرين بأحيائه يشدهم كثيراً زهاء الألوان فى أسماك البحر الأحمر عندما يزورون الغردقة — لا يقتصر ذلك على الأسماك الدقيقة ، التى تسبح كالفراش بين الشعاب المرجانية ، أو التى يحاور بعضها بعضاً فى الـكهوف بين المرجان — بل يتعداها الى الأسماك الغذائية الـكبيرة . وقد يظن من ليس لهم خبرة الا بأسماك المنطقة المعتدلة ، أن الصور التى نشرها روبل (Ruppell) سنة ١٨٢٩ لم تكن الا محاولة ضـعيفة لتصوير ألوان هذه الأسماك ، وأن فيها قدراً من المغالاة غير يسير ، اذ ما كان فى استطاعة الطباعة فى ذلك العصر أكثر من ذلك . والحقيقة ان روبل لم يغال مطلقاً ، بل ان معظم الصور جاءت كأدق ما يكن عمله الآن بالطرق الحديثة ، فقد يجتمع فى بعض الأحيان الأحمر والأخضر والأزرق والأصفر الى غير ذلك جنباً الى جنب فى خطوط أو بقـع ، دون أن يختلط أحدها بالآخر وأحياناً تمتزج هذه الألوان الواحد بالآخر فى أجمل صورة . وأخرى قرمزية لا يداخلها لون آخر ، غير أن لها بريقاً فضياً يكسبها جمالاً لا نجده فى أى سمكة فارقت الحياة ، مهما بلغت من الجمال فى حياتها .

كيرلس كرسلاند
مدير محطة الأحياء البحرية بالغردقة

أربعة جياد ؛ وفى بلدة صغيرة تحف بشوارعها الأشجار وتتدلى أغصانها ذابلة ، وتأتى اليها أصوات الأجراس خافتة من وراء التل كأنما تأتى اليها من أجراس البلدة المجاورة ، كانت هررة هزيلات تجوب طرقاتها يوم الخميس المقدس ، وثمة رجل فى فناء داره يشمر عن ساعديه ويحتسى النبيذ الأحمر ويقرأ فى جريدة عتيقة ، وهو كئيب كأنه متسول ترك هنالك جيش الأمبراطور ؛ وترى فوق التل أطلال كنيسة متهدمة تنعى حظها ، وعن بعد مجرى نهر يترقرق بين القصب القصير ؛ فى تلك البلدة كنت أطوف ذات مساء ، غريباً لايعرفنى أحد ، لأن سائقى احتسى من الشراب أكثر مما يجب ، وأبى قطعاً أن يواصل السير فى ذلك الحلك الذى يغمر كل شىء .

والحق أنى لست أذكر بعد اسم تلك البلدة ، ولا بد أنها تقع فى ناحية من شمال المجر ، فقد كان لها قنطرة مغطاة ودار بلدية ذات تماثيل للقديسين . وكان المطعم يسمى «الفندق الأرجوانى» فذهبت أتمشى وحيداً غريباً ، لأن سائقى أبى إلا أن يتسلل هذا المساء إلى مكان معين ، وأذكر أنى اخترقت حديقة صغيرة ؛ وكان ثمة فى المقهى الصغير محصلة تقرأ جريدة مصورة وهى تعتمد رأسها بيديها اللتين تغوصان فى شعرها المتهدل ووراء باب مدهون باللون الأبيض يبدو فناء صغير يجلس فيه بعض الموظفين فى صديريات سود وهم يدخنون « السيكار » إلى جانب الكؤوس الصغيرة ؛ وكنت تسمع عن بعد شخصاً لعله طالب ينفخ فى مزمار ، ويغنى تلك الأنشودة التى أولها : « إذا ما ابتعدت يا حبيبتى » فقلت لنفسى : أجل توجد هنا أيضاً قلوب ، وتوجد عواطف . . . وكان ذلك مساء ربيع ، وربما كان الطالب المذكور قد رسب فى الامتحان

وكانت الحديقة تمتد جانباً فى قفر مطبق ، يذكرك بقفر فناء المحكوم عليهم . ولا بد أنها تكون فى العصر منتجع الشيوخ ، والضباط أو ذوى المعاشات ، يفكرون فى موتاهم أو فى خليلاتهن القديمات ؛ وكانت أشجار الصنوبر التى ترتفع فوق كل مقعد هزيلة محزنة كأنها حياة تصرمت وانطفأت فى غمار السل ؛ وكان يعمر هذه المقاعد أحذية عتيقة وسترات خرجت عن الثرى ، وفوق الحصى الصغير الذى يغطى المشى ، ترسم العصى الباهتة التى ربما كانت فى شبابها أيادى مظلات ، خطوطاً ذاهلة

جلست على مقعد ، وأخذت أفكر فى شتى الأمور المحزنة : فى نساء البلدة المسكينات اللاتى يرتدين أثواباً شديدة الخفة ويبكين أكثر مما يضحكن ، وفى الرجال الحزانى الذين ينحلون توقعا لرؤية الأميرة الحسناء ، ولن تأتى الأميرة قط ، وفى المحادثات العقيمة التى تدور حول المائدة المقفرة أو فى السرير المضنى لمعرفة من هو أغنى انسان فى البلدة ؟ وفى الشهر القادم ستأتى فرقة تمثيلية الى « الفندق الأرجوانى » . . . وكثيراً مايعرف الأزواج أن لزوجاتهن عاشقا !

آه ، تباً لحياة البلدة الصغيرة من حياة محزنة ذات رائحة كرائحة كسرات الخبز ؛ وفيها يضج المرء بالضحك ، ولكنه لايستطيع أن يتناول فيها عشاءه . رباه ، إن النساء هنا لا يتكلفن العناية بالنظافة ، إذ يستوى ذلك عند الرجال .

شعرت أننى جد تعس ، إذ قضى على أن أضيع وقتى فى تلك النزهة الحقيرة المحزنة فى البلدة الصغيرة ، بدلاً من أن أجلس فى مقهى فخم فى مسكولك أو كاسا أو بودابست .

وكانت نغمات المزمار قد انقطعت حيناً ، ولكنها عادت فدوت فى الحديقة ذاتها . وإذن فقد كان الموسيقى الفتى موجوداً هنالك ؛ وكان يقوم فى ركن المكان الى جانب الحاجز منزل عتيق له نوافذ صغيرة جدا ، حتى لا يتسنى لغير رأس امرأة رشيق جدا وهزيل جدا أن يبرز منها

وكانت النجوم مزورة لاتسطع فى ذلك المساء المظلم ، وربما لم تك ثمة نجوم فوق تلك البلدة الموحشة . وكان هنالك مصباح زيتى ينشر ضوءه ، ويتأمل ذات اليمين وذات الشمال وجلا كأنما يخشى أن يقيم رجال المطافىء احتفالهم فى تلك الليلة ، وعلى بعد تقوم منازل ضيقة ، لايعمل ساكنوها بلا ريب شيئاً طول حياتهم إلا أن يقتصدوا وأن يبكوا ، ولا يفكر نساؤها منذ العشرين فى شىء سوى غسل الثياب

وكان صاحب المزمار يعزف أنشودة محزنة تحت الأشجار ، ولا ريب أنه كان يقصد بعزفه ماوراء الحاجز ، وربما كانت لأنشودته صبغة غرامية ، وربما كان مؤلفها الشاعر المتوفى يحيى فيها القمر أو الصبية ذات العينين البراقتين ؟ بيد أننى لم آنس

فيها شيئاً غير الذلة والمرارة والفقر ، والسلوة الوحيدة لفتى مسكين من القرية . . . رباه ، وكنت قد عرفت يومئذ خادمات فرنسيات .

وأخذت الموسيقى تنحدر الى الأنين شيئاً فشيئاً ، وكانت الأنشودة تضرع تضرع السائل ، الى سيدة لاتريد — وربما كانت أيضاً حمقاء آثمة — أن تصغى من فوق الحاجز الى اعتراف فتى ، لعله فى ظروف أفضل كان يصلح أن يكون فارساً فى ملعب ، أو حاجبا فى حانة ليلية فى بودابست يلقى على الغانيات أجوبة ساخرة . . كان الزمار يئن كالهرة المريضة ، وكأنك ترى وجهاً شاحباً لفتى تعس لايملك من المال ما يمكنه من التلهى بلعبة « الخشب » (لعبة مجرية قومية) ، وكان البؤس المؤلم الساحق والثياب الخلقة ، والمستقبل الذى ينذر بما هو أشنع ، كلها تبكى فى الأنشودة ، ذلك المستقبل الذى ربما استجابت فيه السيدة الخفية الى التضرع ، وأنت للفتى البائس بعدة أولاد لاخير فيهم

نهضت من مكانى وسرت لأبحث عن ذلك الفتى الذى يعزف بزماره بين الأدغال

وقد كان حدثاً ذا محيا حزين بائس ، وربما كان كاتب مسجل فى البلدة ؛ وكان مكشوف الرأس ، وشعره الأشقر كث منفوش قائم كالمسامير

فقلت له بمنتهى الخشونة : عد الى منزلك ، ولا تسمم هواء هذه الحديقة ؛ ألا تشعر بالخزى إذ تذل نفسك على هذا النحو من أجل امرأة ؟

ثم هرولت فأيقظت سائقى من سباته ؛ وفى الليلة نفسها غادرت البلدة الصغيرة ، التى شعرت فيها بثقل ذلك الأسى من جراء عازف سخيف .

٥ - سافو

لأوجيبه اميل

ترجمة الأستاذ محمود خيرت

حنا — لنر الآن ماذا أكتب إليك : « لا أنسى عطفك على بزيارتى يافنى » ولكن متى كان ذلك (يقرأ) إبريل من هذه السنة . . إذن فقد أقدمت على زيارته وأنت معى . . .

فنى — شفقة به وحياتك عندى

حنا — (يقرأ) : « وإنى أفكر الآن فى أمر ولدنا . . » ولك منه ولد ؟

فنى — نعم . فماذا تريد الآن

حنا — ها . ها . ما أكبر فخرك بهذه البذرة التى نبتت فى السجن !

فنى — (صارخة شامخة فى غضبها) لاتزد على ذلك حرفاً

حنا — وما أجمل طفلاً أبوه فرومان وأمه سافو !

فنى — لاتسبه فهو ولدى

حنا — (وقد غلبته صرخة الأمومة) حسناً

فنى — (بصوت مخنوق) قضى الأمر بيننا ، فعد إلى أهلك لعلك تسعد إلى جانبهم

حنا — يالك من قذرة !

فنى — يالأمك وابنة عمك من حواصير !

حنا — ماذا ؟ (يهم بضربها فتحتقره هازة كتفيها)

فنى — حقيقة إنك نذل . أخرج الآن من هنا

حنا — على هذا عزمت (يأخذ حقيبته وعند ما يصل إلى الباب يلقى الخطاب فى وجهها ثم يختفى فتتناوله وتضعه فوق المائدة وهى تبكى وتنشد)

فنى — ظلمونى وأسرفوا حين نمّوا وأرجفوا

كم تخيلت أنه ذو شعور فيعطف

فاذا الطبع واحد دبّ فيه التعسف

وإذا من بذكره كنت فى الحب أهتف

حانث فى يمينه واعد وهو مخلف

قضى الأمر لم يعد لى من الناس منصف

الفصل الرابع

(فى أفينون منزل أسرة جوسين الى اليمين ، وله حديقة بئرها فى الجهة اليسرى ، وعلى بعد نهر الرون . والأشخاص حنا ووالداه وإيرين ثم سافو وهم عدا سافو على المائدة حيارى لحزن حنا ، وعندئذ تشير ديفون اشارة فيخلو المكان إلا منها ومن ولدها .)

ديفون — مالك ياحنا ؟

حنا — أمى !

ديفون — (تمسح رأسه بكفها) مِمَّ تشكو ياولدى ؟

حنا — لا أدرى !

ديفون — لا تكذبنى . أحدث لك حادثٌ هناك ؟

حنا — كلا . ياأمى

ديفون — إذن لِمَ تعجّلت العودة حتى كأنك فررت إلينا فراراً ؟ .

حنا — لا ، لاشىء يا أمى

ديفون — لعل امرأة خدعتك أو حباً غير موفق صادفك ؟ . لاتخف عن أمك شيئاً يا حنا . إنك لاتجهل مالك فى فؤادها من الحب .

حنا — أمى . ما أخطأتِ ولكنى شُفيت

ديفون — أصدقنى ياحنا

حنا — كانت ياأماه ثورة ولكنى نسيتها ، فهل أستحق بعد ذلك صفحك عنى ؟ .

ديفون — وماذا فعلتَ مما يستوجب صفحى ياولدى ؟

حنا — آه ليتك ياأماه تنزلين الى أعماق نفسى ؟

ديفون — إن حنو الأمهات يخترق الحجب فتتكشف لهن الأحزان والدموع

حنا — ليقاسمن أبناءهن إياها

ديفون — نعم يا بنى حتى تغسلها قُبلاتهن . تشجع ياحنا واذا عادت اليك همومك فأستحلفك ألا تكتمها عنى

حنا — سأفعل ياأماه ودعينى أضمك

ديفون — نعم . نعم تعال فادفن همك عند صدرى (يضمها)

حنا — الآن خف حمل ألمى . وهدأت ثورتى . وربما أخطأ الحزن بعد ذلك طريق قلبى مادمت الى جانبى

ديفون — اذن أدعك لأزف الى أبيك هذه البشرى ، فانه يطرب اذا رأى نور السكينة يتلألأ فى عينيك

حنا — نعم أسرعى اليه ياأمى (تخرج أمه)

ايرين — (مقبلة على حنا) ماذا يحزنك ياابن عمى ؟

حنا — لست السبب على كل حال ياإيرين

ايرين — ألستُ صديقتك . أنسيت مريم ويوسف ؟. إنى ساعة الأسى أندفع الى صدر صديق تذيب حرارته همى ويطرد حديثه وحشتى

(يدخل سيزار)

سيزار — (مسرعا اليه) حنا

حنا — (مندفعاً اليه) أبى

سيزار — (لإيرين) اذهبى أنت لديفون

ايرين — ولِمَ لا أبقى ؟

سيزار — قلت لك اذهبى

ايرين — كأنك غاضب على ؟

سيزار — لا . ولكن دعينا الآن (تخرج حزينة) (لولده) آه ياولدى المسكين . إنها هنا . . .

حنا — (مضطربا) هنا ؟ أو عادت ؟

سيزار — نعم وتلحُّ فى أن تراك !

حنا — سافو ؟

سيزار — نعم هى ياولدى . أحسبتنى عميت عن أمركا وأنت تكتمه عنا . ولكن تشجع عند مقابلتها ياحنا

حنا — سأكون عند نصيحتك يا أبى ، ولقد كنت من رهة أنتفض وأتلوّى . أما الآن فسأستقبلها بقلب ثابت . نعم نعم يا أبى (سيزار يخرج وتتقدم سافو بخطى بطيئة وهى تنظر حولها حتى إذا وقع بصرها عليه أسرعت نحوه ثم وقفت فجأة)

سافو — (بعد سكوت طويل) لا تعتب على إذ عدت وما ودعتك الوداع الأخير . وقد كنت وأنا بعيدة عنك أشعر بألم خفى يعذبنى . أما الآن وقد رأيتك فقد ذهب ألمى .

حنا — إننى لا أحمل لك فى نفسى غلاً

سافو — (والألم يرجها) ماذا ؟ آه لو تعلم كم بكيت وكم

[البقية فى أسفل الصفحة التالية]

الكتب

ماقــــل ودل

بقلم أحمد الصاوى محمد

جزءان فى نحو ٥٨٠ صفحة طبع دار الكتب

عنوان هذا الكتاب هو نفس العنوان الذى يتخذه مؤلفه منذ أعوام عنواناً لما يكتب كل صباح فى جريدة الاهرام الغراء ، وما يحتويه الكتاب هو مجموعة مختارة من هذه القطع التى غدت تقرن باسم كاتبها .

ولمؤلف ماقل ودل طابع خاص يسبغه على مقالاته ؛ فهو يتناول من مادة الحياة اليومية مسائل الساعة ، مابين اجتماعيـة وأدبية واقتصادية ، ويعالجها بايجاز ولكن بوضوح ؛ ويميل بنوع خاص الى تناول المسائل الاجتماعيـة وعلاقات الجنسين ومسائل الزواج والأسرة ، ويبسط فيها آراءه المحدثة ببساطة وشجاعة . وقد لانوافقه أحياناً على كثير من آرائه وتعليقاته ، ولكنك تأنس دائماً فيما يكتب حرارة الاخلاص ، وحسن القصد ومحاولة الاصلاح .

وعندنا أن عنصر الفن يتغلب عند الأستاذ الصاوى على عنصر الكتابة ، فهو يكاد يرسم أكثر مما يكتب ؛ ومقالاته تبدو كأنها صور سريعة لما يتناول ، ويخيل اليك فى كثير من الأحيان أنك تتأمل فيما يكتب صورة رمزية ناطقة لما يجول فى ذهنه . وأسلوبه بسيط واضح ينم عن خفـة روح ودعابة مستملحة فى كثير من الأحيان ، وهو لذلك لايتكلف اختيار اللفظ أو إجادة البيان ، لأنه يتجه دائماً فى خطابه الى الرجل « المتوسط » ، والى الشباب اليافع ؛ ولايهمه أن يمزج العربية بالعامية فى أحيان كثيرة ، لأنه يرى ذلك المزج من مقتضيات البساطة والسلاسة فى عرض مايريد لمن يريد . وهذا أسلوب له أنصاره ومؤيدوه ؛ ولكن له معارضوه أيضاً ، ممن لايسيغون مثول الألفاظ العامية الى جانب الألفاظ العربية بمثل هذه الحرية وهذا الاسراف ؛ وقد يسيغون وجود اللفظ أو العبارة العاميـة لضرورة محلية لايؤديها البيان الفصيح ؛ ولكن كثرة الألفاظ العامية مما يذهب دائماً بقوة الأسلوب وروائه ، وإن كانت تكسبه فى بعض الأحيان لوناً من الخفة والدعابة .

ولسنا بحاجة بعد ذلك الى أن نقدم الكتاب ومؤلفه ، ففيما يكتبه الأستاذ الصاوى كل صباح فى الاهرام الغراء خير تقدمة ، ولكن الذى نريد أن نهنىء الأستاذ الصاوى عليه حقاً ، هو توفيقه فى حل مشكلة النشر والتوزيع بطريقة يغبط عليها ، فما زال الكتاب فى مصر يعانون متاعب هذه المشكلة ؛ وليس فى مصر ناشرون يعتمد على فطنتهم وأمانتهم وحسن تقديرهم ؛ وما زالت معظم جهود المؤلفين نهباً لتجار الكتب . وقد وفق الأستاذ الصاوى الى تجنب طغيان هؤلاء السادة ، واستطاع فى شجاعة

[البقية فى أسفل الصفحة التالية]

هدّنى الجهد حتى لا أدرى كيف أننى لم أزل من بين الأحياء (بدهشة) أترانى تغيرت ؟

حنا — وهل تقيمين دائماً هناك ؟

سافو — وأين تريد أن أقيم ، وهناك تلك الذكريات التى أحيا عندها بالألم . وكثيراً ما كنت على أثر البكاء تقتلنى وحدتى فأضطر إلى العمل لأتسلىّ . وكم من مرة كنت أستيقظ عند الصباح باسمة فأرتدى ثوبى الأبيض وأصلح شعرى على ما كنت تحب ، ثم ألزم نافذتى إلى مغرب الشمس ، وأنا أتسمّع خطواتك وألتمس عودتك ، حتى إذا يئست أغلقتها واستسلمت لحـــزنى .

«يتبع» محمود خيرت

المهاتمـــا غاندى

حياته وجهاده

للأستاذ فتحي رضوان المحامي

أثارت شخصية غاندى وحياته ومبادئه الروحية ، وأساليبه السياسية فى الأعوام الأخيرة كثيراً من الاهتمام فى جميع أنحاء العالم ؛ وكان غاندى منذ سنة ١٩٢٠ أعظم شبح يروع السياسة البريطانية فى الهنـد ، وكان لذلك الرجل الذى يضطرم جسمه النحيل بقوة روحية هائلة فى الأعوام الأخيرة مواقف اهتزت لها السياسة البريطانية ، واضطرت أن تنحنى أمامها ، أشهرها موقفه سنة ١٩٣٠ حينما أعلن العصيان المدنى الأكبر ، وأشهر دعوة عدم التعاون ، واضطرمت الهند من أقصاها الى أقصاها بدعوته ، واضطرت حكومة الهند الى اتخاذ أشد الاجراءات الدموية لسحق الثورة ، واضطرت الحكومة البريطانية أن تصرح على لسان اللورد ايروين حاكم الهند أنها ترمى الى السير بالمسألة الهندية الى منح الهند استقلالها الذاتى ، وأنها تعقد لبحثها مؤتمراً خاصاً هو الذى عرف بمؤتمر المائدة المستديرة ، والذى استدعى غاندى من أعماق سجنه الى شهوده ، بعد أن التزمت حكومة الهند بوقف الاجراءات الاستثنائية ، وإعادة النظر فى ضريبة الملح ؛ ومن مواقف غاندى المشهورة أيضاً ، موقفه منذ عامين فى مسألة المنبوذين حينما أعلن أن يصوم حتى الموت مالم تعدل الحكومة البريطانية موقفها نحو المنبوذين ؛ ولبث غاندى فى صـيامه حتى أشرف على الموت ، واضطرت الحكومة البريطانية فى آخر لحظة أن تنزل عند وجهة نظره نحو المنبوذين اتقاء لموته ، وما يجره ذلك الموت فى الهند من العواقب الخطيرة

هذه الحياة العظيمة الفياضة بمواطن الكفاح القومى المضطرم ، ومواطن القوة الروحية الهائلة ، يتناولها الأستاذ فتحى رضوان فى سفر كبير تربى صفحاته على الثلاثمائة . وقد سبق أن نشر الأستاذ فتحى رضوان عن غاندى عدة فصول قيمـة فى بعض الصحف اليومية ؛ ولكنه يقدم الينا الآن دراسة كاملة متصلة عن حياة هذا البطل القومى الممتاز . فأعوام غاندى الأولى ، ثم مراحل الدراسة فى الهند وفى انكلترا ، ومرحلة الحياة العملية الأولى فى المحاماة ، ونزوح غاندى الى جنوب أفريقية . حيث هاله ما رأى من اضطهاد مواطنيه وجهاده فى سبيل إنصافهم ، وبث الدعوة الأولى الى عدم التعاون ، وظفره فى هذا الكفاح ؛ ثم استئناف العمل فى الهند ، ونمو الدعوة الى عدم التعاون ، وحياة السجن والمحاكمات المختلفة ، ومراحل الكفاح القومى المختلفة حتى سنة ١٩٣٠ — هذه كلها يفصلها الأسـتاذ فتحى رضوان فى إفاضة وترتيب ووضوح — ونلاحظ فقط أن المؤلف فاته أن يشرح أدوار المسألة الهندية ، وما اتخذته السياسة البريطانية نحوها فى الأعوام العشرة الأخيرة ، وأعمال لجنة الأصلاح الدستورى وما يتعلق بها . فهذه كلها مسائل هامة يجب أن يستوعبها كتاب يوضع عن غاندى ؛ ونلاحظ أيضاً أنه لم يتناول مراحل الكفاح التى خاضها غاندى فى الأعوام الثلاثة الأخيرة ، وقد كان حرياً به أن يتناولها .

وفى حياة غاندى عبر قومية عميقة يجب أن يستعرضها شباب الأمم الشرقية المغلوبة . ومن واجب الشباب المصرى أن يدرس هذه الحياة الفياضة بمواطن الكفاح القومى . وبين الهند ومصر محنة مشتركة ، وعدو مشترك . فيجدر بشبابنا المثقف أن يقرأ حياة المهاتما غاندى . وأن يدرس ما فيها من أسرار العظمة ومقومات البطولة القومية .

« ع »

ولباقة أن يتجه الى قرائه رأساً وأن يقدم إليهم كتابه بطريق الاشتراك ؛ واستطاع أن يخرج لهم كتابه فى جزءَين كبيرين ، وفى أتقن طبع وأجوده ، محلى بالصور الرمزية الممتعة ؛ وذلك كله بثمن لا يتجاوز عشرة قروش للجزءين !

وإنا لنرجو أن يكون فى هذا المجهود الموفق عبرة للناشرين فيحد من جشعهم وطغيانهم ؛ وأن يكون فيه درس يستفيد منه الكتاب والمؤلفون .

كما نرجو لمؤلف « ما قل ودل » ماهو جدير بأدبه وفنه من تشجيع وتقدير ؟